الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كليـــة العلوم الإنسانيـــة والعلـــوم الاجتماعيـــة

قســـم التـــاريـــخ

الرقـــم التسلسلـــي:

مذكـــرة مقدمة لنيل شهـــادة الماستـــرأكاديمي في التاريـــخ بعنـــوان:

ملامـــح التصوف في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

مـــن إعـــداد الطالـــب(ة): خلوفـــــي مديحـــــة

أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة:

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ د. محمود بوكسيبة	جامعـــة محمـــد بوضيـــاف	رئيســـــا
أ د. بتـــة مـــرزوق	جامعـــة محمـــد بوضياف	مشرفـــا ومقـــررا
أ د. منى صالحي	جامعـــة محمـــد بوضيـــاف	ممتحنـــــا

السنة الجامعية :1446-1447هـ/ 2024-2025 مـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعـرفـان

بداية أشكر الله العلي القدير، القوي المنير، ونحمده فإنه موفقي لهذا وإيمانا بأن الشكر والتقدير و الامتنان هو أقل شيء نقدمه له.

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور "**بتـــة مـــرزوق** "لإشرافه علي مذكرة التخرج وعلى ما قدمه من توصيات وما يسره من عـــون لي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة "كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعـــة محمـــد بوضيـــاف بالمسيلـــة.

كما لا ننسى أســـرة **قســـم التاريخ** من أساتـــذة وطلبـــة وعمـــال.

مديحـــة

إهـــداء

الـــى أمـــي حبيبـــة روحـــي وقلبـــي ودفء حيـــاتي ، والـــى والـــدي الغالـــي الـــى من وجـــوده أمامي أغلـــى أغلى كنوزي ، نور عيوني وضياء دربي وقدوة أخلاقي أســـأل الله من فضـــــــــــــله ومـــن كرمـــــــــــــه ومـــن عزته أن يعزهما بعـــزة لا مذلة بعدها، ولا مهانـــة ولا مشقة ،كما أسأله من بقدرته أن يحفظهـــــــما بحـــــفظه وأن يديـــمهما لي طـــــــول عمـــــري لكم مني أحلـــى العبر وأطيـــب الأمنيات وكل الحب والتـــقدير والاحترام .

الـــى زوجـــي وسندي في الحيـــاة ومن شجعني على إكمـــال مشواري الجامعي بـــوعلام همك.

الـــى اولادي يونـــس وشهـــد.

الـــى جميـــع اخوتي واخواتي.

الـــى كل، من درسوني طوال حياتي الدراســـية لا تنفع أربع أو خمس كلمات لوصف ودكم ومساعدتكم لي، كنتم خير من صنعت لي الحياة.

مديحـــة

قائمة المختصرات

الرمـــــز	المعنـــــى
ص	صفحة
ص ص	صفخات عديدة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
م	ميلادي
ه	هجري
ع	عدد
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان
د.ن	دون نشر
مج	مجلد
ج	جزء
د. س	دون سنة
ق	القــرن
op.cit.	المرجع السابق
P	Page
N°	Numéro

مقدمة

مقدمـــة

التعريـــف بالموضـــوع:

يحتل التصوف مكانة بارزة في تاريخ الجزائر الديني والاجتماعي، إذ لم يكن مجرد ممارسة روحية فردية، بل تحول إلى ظاهرة جماعية أثرت في مختلف جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية. ومع بروز العهد العثماني منذ مطلع القرن السادس عشر، ازدادت أهمية التصوف باعتباره عنصرًا فاعلًا في صياغة الهوية الدينية والروحية للمجتمع الجزائري.

لقد ساهمت الطرق الصوفية والزوايا في نشر التعليم الديني، وتعزيز قيم التضامن الاجتماعي، إضافة إلى ترسيخ الروابط الروحية التي جمعت بين أفراد المجتمع في مواجهة التحديات المختلفة. كما شكّل التصوف مجالًا واسعًا للتعبير عن التدين الشعبي، ووسيلة لدمج الموروث المحلي بالبعد الإسلامي العام.

وعليه، فإن دراسة ملامح التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تمثل مدخلًا لفهم طبيعة المجتمع في تلك المرحلة، وتكشف عن أدوار الزوايا والطرق الصوفية في الحياة اليومية، بما يجعل من التصوف عنصرًا أساسيًا لفهم البنية التاريخية والثقافية للجزائر العثمانية.

أسبـــاب اختيـــار الموضـــوع:

وقع اختياري لهذا الموضوع لعدة أساب ذاتية وموضوعية.

- **أسبـــاب ذاتيـــة:**

✓ اهتمام شخصي بالتفكير الصوفي: لدي اهتمام خاص بالتصوف كأحد مظاهر التدين الشعبي في العالم الإسلامي، وأرغب في استيعاب أبعاده الروحية والاجتماعية.

✓ الرغبة في اكتشاف التراث المحلي: لقد أثارت اهتمامي فكرة دراسة دور الزوايا والطرق الصوفية في تاريخ المجتمع الجزائري، لاسيما خلال فترة مؤثرة مثل العهد العثماني.

✓ استكشاف أصالة الهوية الجزائرية: أعتقد أن التصوف يُعتبر جزءاً لا يتجزأ من الهوية الروحية والثقافية الجزائرية، وإن دراسة هذا الموضوع تعزز فهمي لهذا الجانب من تاريخنا.

- **أسبـــاب موضوعيـــة:**

✓ أهمية الموضوع من الناحية التاريخية: قام الفكر الصوفي بدور محوري في بناء الحياة الدينية والاجتماعية والتعليمية في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، مما يضفي على موضوعه ثراءً وأهمية للتحليل.

✓ ندرة الدراسات المتخصصة في هذه الحقبة: على الرغم من وجود العديد من الأبحاث حول العصر العثماني، إلا أن هناك نقصًا في الدراسات التي تتناول الجانب الصوفي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، خصوصًا فيما يتعلق بالجزائر.

✓ صلة الموضوع بالواقع الحالي: لا تزال الطرق الصوفية اليوم تؤدي أدواراً تعليمية واجتماعية مما يمنح الموضوع أهمية حالية لفهم أصوله وتطوره.

✓ توافر المصادر التاريخية والمخطوطات المتعلقة بالطرق الصوفية والزوايا في تلك الفترة يتيح إمكانية إجراء بحوث ميدانية ومقارنة

أهـــداف و أهمية الدراســـة:

✓ دراسة طبيعة الفكر الصوفي المتداول في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، من خلال التعرف على سماته العقدية والسلوكية، وفهم صلته بالسياق الديني والسياسي العام.

✓ تتبع الأدوار الاجتماعية التي لعبتها الزوايا والطرق الصوفية، خصوصاً في ميادين التعليم الديني، الإصلاح الاجتماعي والتكافل، بهدف استجلاء طرق تأثيرها على التركيب الاجتماعي للمجتمع الجزائري في ذلك الوقت.

✓ دراسة العلاقة بين السلطة العثمانية والزوايا الصوفية، واستكشاف استخدام التصوف كأداة لضبط المجال الديني وضمان الاستقرار الاجتماعي.

✓ تسليط الضوء على الدور الذي أداه التصوف في صون الهوية الثقافية والدينية للجزائريين في خضم التغييرات السياسية التي شهدتها البلاد خلال تلك المرحلة.

✓ يساهم في تغطية الفجوة البحثية في الدراسات التاريخية المرتبطة بالتصوف في الجزائر العثمانية، عبر تقديم تحليل معمق يستند إلى مصادر ووثائق متنوعة.

كما تعتبر هذه الدراسة ذات أهمية كبيرة لأنها توضح لنا مدى تأثير الفكر الصوفي ومساهمته في المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر. كما أنها تسلط الضوء على جانب حيوي وهو الوزن السياسي والاجتماعي للصوفية. تبرز أهمية هذا البحث أيضًا لأنه يساهم في فهم العمق الحقيقي للفكر الصوفي داخل المجتمع الجزائري، ودوره في تعزيز الهوية الدينية والوطنية خلال فترة حساسة من تاريخ الجزائر.

الإشكاليـــة:

من أجل معالجة ودراسة وإثراء هذا الموضوع، يتعين علينا طرح الإشكالية التالية:

➢ **ما هي ملامح التصوف في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي؟**

تتضمن هذه الاشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية، وهي:

✓ كيف نشأ الفكر الصوفي في المجتمع الجزائري قبل الحقبة العثمانية؟

✓ ما هي المساهمة التي قدمتها الطرق الصوفية لتعزيز السلطة العثمانية بالجزائر؟

✓ كيف كان أثر الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني؟

خطـــة الدراســـة:

للإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات الفرعية تم تقسيم الدراسة الى مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول تعريف الإطار المفاهيمي للفكر الصوفي في المجتمع الجزائري قبل وجود العثمانيين وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول مفهوم التصوف، بينما ركز المبحث الثاني على نشأة التصوف وتطوره في العالم الإسلامي أما المبحث الثالث، فقد خصص لظهور الفكر الصوفي في الجزائر قبل الوجود العثماني.

في الفصل الثاني تم استعراض الفكر الصوفي في الجزائر خلال الحقبة العثمانية في القرنين 16 و17 الميلاديين، وقد تم تقسيمه إلى ثلاث مباحث المبحث الأول خصص لدراسة انتشار التصوف خلال العهد العثماني، بينما تناول المبحث الثاني أهم الطرق الصوفية ورموزها البارزة في تلك الفترة، كما تم توضيح العلاقة بين الزوايا والسلطة العثمانية من خلال المبحث الثالث.

واخيرا في الفصل الثالث، بعنوان دور الفكر الصوفي وتأثيره على المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، حيث عالج المبحث الأول نشاط الزوايا ودورها في المجتمع الجزائري بينما تناول المبحث الثاني تأثير الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري، في حين خصص المبحث الثالث لبيان تأثير الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري.

المنهج المتبع:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، التاريخي لإننا نؤرخ لفترة هامة من تاريخ الجزائر و الوصفي من خلال تتبع الفكر الصوفي و التحليلي من خلال تحليل مظاهر تأثيره في المجتمع مع الإستعانة بالمصادر التاريخية.

الدراسات السابقة:

فيما يخص الدراسات السابقة فقد تمثلت في وجود العديد ممن سبقونا في هذا الموضوع نكتفي بعرض أبرز ما يرتبط منها بموضوع دراستنا حيث توجد دراسة لأبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي (10 أجزاء)، الذي تناول فيه الكثير من المسائل التي تخص الحياة الثقافية بالجزائر في الفترة الممتدة مابين (1500-1954مـــ)

وقد خصص جانبا من الجزء الرابع لإبراز صورة واضحة عن التصوف والطرق الصوفية في الجزائر مبرزًا حضورها في المجتمع، لم يكن هدف سعد الله التعمق في التصوف وحده، بل عالجه كجزء من المشهد الثقافي العام، لذلك لم يفصل في المظاهر الاجتماعية والفكرية للتصوف في القرنين 16 و17 وقد استفدت منها أنيي شكلت مرجعًا عامًا لإطار الحياة الفكرية والثقافية الذي يُمكّن من وضع موضوعك في سياقه التاريخي الواسع.

- الطاهر بونابي الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي الوسيط جامعة الجزائر 2008-2009م، ما تركه بونابي أنه لم يتناول المرحلة العثمانية التي أنت نركز عليها، بل ركزت على ما قبلها. كما أنها ركزت على الجانب التاريخي والسياسي أكثر من تحليل ملامح التصوف في المجتمع وقد استفدت منها بتكوين فكرة عن خلفية تاريخية مهمة عن جذور التصوف والطرائق التي ورثها المجتمع الجزائري ودخلت العهد العثماني وهي قائمة.

-عبد الحكيم مرتاض الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924-1246هـ/ 1518-1830مـ تأثيراتها الثقافية والسياسية أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 2015-2016.

اعتمدنا عليه في التعريق بالطرائق الصوفية وأهم الطرائـــق، مالم تعالجه هذه الدراسة أنه اتجه بشكل أوسع نحو التحليل السياسي والثقافي على مدى فترة طويلة (ثلاثة قرون)، مما جعله لا يركز بدقة على القرنين 16 و17 وحدهما، ولم يتوسع كثيرًا في دراسة الممارسات الروحية والاجتماعية اليومية (مثل الأذكار، المواسم، الزوايا، التأثير في البنية الاجتماعية)، وقد استفدت منها بتوفير قاعدة معرفية دقيقة عن نشأة الطرق وأسمائها وأدوارها الكبرى، وهو ما ساعدك في تحديد الطرائق الفاعلة خلال الفترة المحددة للدراسة.

الصعوبات:

واجهت الدراسة عدة صعوبات، أبرزها ندرة المصادر الأولية المتخصصة في الفكر الصوفي خلال القرنين 16 و17م، ما استلزم الاعتماد على مصادر ثانوية متفرقة، كما شكّل تداخل الأدوار الدينية والاجتماعية للزوايا تحديًا في التمييز الدقيق بين الجوانب العقائدية والسياسية

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي للفكر الصوفي

المبحث الأول: مفهوم التصوف

المبحث الثاني: نشأة التصوف وتطوره في العالم الإسلامي

المبحث الثالث: ظهور الفكر الصوفي في الجزائر قبل الوجود العثماني

مدخـــل:

إنّ تناول موضوع التصوف في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني يقتضي بالضرورة الوقوف أولًا على الإطار المفاهيمي والتاريخي لهذه الظاهرة الروحية والفكرية، حتى يتسنى إدراك أبعادها في سياقها المحلي. فالتصوف لم يكن ظاهرة معزولة عن الامتداد التاريخي للحياة الإسلامية، بل ارتبط منذ نشأته الأولى بالتحولات الدينية والفكرية والاجتماعية التي عرفها العالم الإسلامي، ثم تفرّعت منه اتجاهات وطرائق مختلفة. ومن هنا تأتي أهمية تخصيص هذا الفصل لتوضيح مفهوم التصوف وضبط دلالاته، مع تتبّع نشأته وتطوره في العالم الإسلامي، قبل الانتقال إلى رصد مظاهره في الجزائر في المرحلة السابقة للوجود العثماني. إن هذا المدخل يتيح لنا تأسيس قاعدة معرفية صلبة، تمهّد لفهم أعمق لخصوصيات التجربة الصوفية الجزائرية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فقد تطرقنا في هذا الفصل الى مفهوم التصوف، قواعده وخصائصه، كيف نشـــأ التصوف وتطور في العالم الإسلامي وأخيرا ظهور الفكر الصوفي في الجزائر قبل الوجود العثماني من خلال المراحل التي مر بها و العوامل المساعدة على انتشاره.

المبحث الأول: مفهوم التصوف

المطلــب الأول: تعريــف التصــوف:

1- التعريــف اللغــوي:

تعددت الآراء واختلفت وجهات نظر الباحثين ومؤرخي التصوف في الأصل الاشتقاقي اللغوي لمفهوم التصوف، ولقد ورد مفهوم التصوف في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان منها إطلاق كلمة(صوف) على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، قال الله تعالي: [1](وَمِن ْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِين)[1]

التصوف هو الأدب وحسن الخلق ,يقال تصوف اذا تعبد أو تنسك ، فالتصوف على هذا التعريف هو العبادة والتنسك , ويقال أن ال صفوان كانوا يخدمون الكعبة وينسكون ولعل الصوفية نسبة اليهم أو تشبيها بهم في التعبد والتنسك[2] .

لفظ "**تصوف**" مشتق من اسم صوفي وهي مشتقة من الصفاء فجعلوا منه (صوفي) فعلا مبنيا للمجهول من صافي وقلب صوفي تجنبا للثقل[3].

من هذه التعريفات وغيرها يتضح لنا الاختلاف في التعريف اللغوي لمفهوم التصوف، فلم يتم الاتفاق على تعريف واحد يكون جامعاً لهذا المفهوم.

2- التعريــف الاصطلاحــي:

مفهوم التصوف من المفاهيم التي لم يتفق على تعريفها لغة و اصطلاحا، فمنً الصعب أن نحصر تعريفاً جامعا مانعاً للتصوف ؛لأن التصوف مر بالعديد من الأدوار والمراحل والتغيرات، فلابد أن يختلف مفهوم التصوف من عصر لاخر، بالاضافة أن التصوف تجربة

---

[1] سورة النحل الآية 80.

[2] مسيد محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جوائر القاموس، ص 24.

[3] السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق رينولد نيكلسون، مطبعة بريل، 1914، ص26 – 27.

روحية فردية، وهذه التجربة تختلف من شخص إلى آخر، فيختلف معنى التصوف من صوفي إلى آخر بإختلاف تجاربه " لقد اجتهد الصوفيون في تقديم التعريف الجامع المانع ، وتفرقوا أو تنوعوا أكثر ما التفوا أو اتفقوا، وبثوها مبعثرة ومعقدة ، كما قدموا تعريفات بسيطة أو مبسطة مكثفة"[1]

ويعرفه حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي بأنه:"هو طرح النفس في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، فإن تصفية القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الخالق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانية الدواعي النقائية ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية ،وإتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الشريعة " فهو تزكية النفوس وصفاء القلوب إصلاح الأخلاق.[2]

ويعرفه ابن خلدون بأنه:" العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهورمن لذة ومال وجاه الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[3]، فهو عباده وسلوك و الإعراض عن الدنيا وملذاتها، و الابتعاد عن الفواحش وكل مايخالف أوامر الله وتوثيق الصلة به.

أما القشيري فإنه يرى "أنه كاللقب، ولهذا يقال :تصوف إذا لبس الصوف كما يقال :تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، كما نفى النسبة إلى الصفة، لأن النسبة إليها لا تجيء على نحو الصوفي (ونفى النسبة إلى الصفاء لأن اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد – كما يرى – في مقتضى

---

[1] علي زيعور، النظريات في فلسفة الوجود والعقل والخير، أسئلة الايسيات والمعرفيات والقيميات، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 115.

[2] الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار السعادة – مصر، د.ط، 1924، ص143.

[3] ابن خلدون، المقدمة، دار العلم، ط5، 1984، ص 467.

اللغـــة، وكذلك إلى الصف، فكأنهم في الـــصف الأول بقلـــوبهم، فـــالمعنى – عنـــده – صـــحيح، ولكـــن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف[1].

وعلم التصوف اتجاه جديد يعبر عن العاطفة الدينية في صفائها ونقائها وهو الجانب الروحي الذي يعتمد على منطق الرؤيا والإشراق والمحبة، يكشف الإنسان فيه في الحياة البعد المتعالي ليتحول إلى إنسان كامل فهو يحاول لـــكشف حكمة الله وتمتع القلب والروح بلذة المشاهدة وقد تطور التصوف من بداية القرن الثالث إلى الثامن وكثرت الاصطلاحات فيه والمذاهب وأدخلت عليه التغيرات والظواهر من حيث ترتيب المقامات والأحوال ونظام السلوك والآداب، فانعكس ذلك على أدب التصوف شعرا ونثرا ومن أشهر أعلامه (رابعة العدوية، ذو النون المصري (ت 245هـــ)، السهروردي الشامي، ابن الفارض، ابن .عربي... الخ. [2]

مما سبق تبين لنا أن تعريفات التصوف هي تعريفات شخصية فردية مختلفة، تبين لنا حال الصوفي في لحظة اتصاله مع الله، وتختلف من صوفي لآخر في لحظة فردية روحية.

الصوفي: من اتبع طريقة التصوف واتسم بسمات أصحابها، وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك لانه بفضل لبس الصوف تقشفا. وقيل أيضا أن اسمه مأخوذ من الصفاء، لأنه هو الذي يصفو قلبه بكف النفس عن الهوى، والاستغراق بالكلية في ذكر الله، والصوفي له عدت تعريفات، منها قولهم "أن الصوفي هو الذي صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر، والحرير والوبر[3].

---

[1] القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص312.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، القاهرة 1938، ص23 – 24.

[3] شعبان عبد العاطي عطية وآخرون: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ودار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425ه/2004م، جمهورية مصر العربية، ص 529.

الصوفية: الحكمة الشاملة، والاستغراق في معرفة الوجود والحقيقة تشير الدراسة التأملية والحقيقة الكونية إلى أن الحكمة في مفهومها الشامل، تتجلى في مظاهرها الثلاثة المتصلة:

- ثيو صوفيا: أي الحكمة الإلهية
- صوفيا: أي الحكمة البدئية .
- فيلو صوفيا: أي محبة الحكمة.

وعلى هذا الأساس فإن الحكمة الإلهية (ثيو صوفيا) هي الحكمة المنبثة في كل نقطة من نقاط الوجود، تتنوع في مستوياتها ومعالمها الظاهرية والباطنية، وتحتفظ بجوهر حقيقي واحد وهو أن (صوفيا) هي الحكمة البدئية التي عرفها الإنسان الأول، أي الكائن الروحي البدئي وأن (فيلو صوفيا) هي الحكمة بعد تراجعها إلى النطاق العقلي، إذن الصوفية هي الحكمة الكونية والوعي الكوني الذي يدعو إلى تحقيقه في العالم الأرضي، وأن الصوفي هو الإنسان الحكيم المتميز بوعي عميق على صعيد الروح والعقل[1].

أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام 189هـ في خبر فتنة قامت بالاسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الاسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة؛ إذن فكلمة (صوفي) كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة،

مما سبق نجد أن الصوفية مرت بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: كانت متمثلة في حياة الزهد التي مثلها الأولياء والصالحون وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- المرحلة الثانية: تطور التصوف وبرز بروزا واضحا[2].

[1] دلال حوحو، الصوفية والتصوف بحث في المصطلح والمفهوم، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المجلد 20، العدد2023،01، ص113 .

[2] دلال حوحو، المرجع نفسه، ص 117 .

المطلـــب الثانـــي: قـــواعـــده:

وقواعده متينة من الكتاب والسنة. كما أجمع رجال التصوف على أنهم براء ممن خرج عن نهج كتاب الله و سنة رسوله –ص– قال إمام الصوفية أبو القاسم الجنيد(ت 398هـ/ 910م): " من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب و السنة. و قال الإمام الغزالي :" و إعلم أن سالك سبيل الله تعالى– قليل والمدعي فيه كثير ونحن نعرفك علامتين له العلامة الأولى: أن تكون أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع... و قال أبو الحسن الشاذلي:" إذا تعارض مع الكتاب والسنة، ودع الكشف، و قل لنفسك : إن الله – تعالى– ضمن لي العصمة في الكتاب و السنة، و لم يضمنها في جانب الكشف، و لا الإلهام، و لا المشاهدة، إلا بعد عرضه على الكتاب و السنة[1].

قواعـــد التصـــوف الأساسيـــة هي: تحسين النية محاسبة النفس، التوبة النصوح، الزهد في الدنيا، دوام الذكر محبّة المؤمنين و الرحمة بهم، التحلي بمكارم الأخلاق. هذه القواعد قد تختلف عداً لكنها تحمل نفس المعنى لدى كل الصوفية فإبن العريف في "محاسن المجالس"، يعدها كالتالي: الإرادة الزهد التوكل الصبر الحزن الخوف الرجاء، الشكر، المحبة، التوبة الأنس.[2]

---

[1] عبد الوهاب الشعراني الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، تحقيق: لجنة التراث في الدار، ط 1, دار صادر، بيروت 1999، ص 28 كذلك، عبد المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربي دراسات و مراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة و التصوف بالمغرب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2000, ص 179.

[2] نقلا عن الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، الطبعة دار الغرب الإسلامي بيروت 1987، ص 384.

المطلـــب الثالـــث:خصـــائصـــه:

التصـــوف فلسفـــة في الحيـــاة و أسلوب في العيش إتصف بالمميزات التاليـــة:

- ✓ **بناء الأخلاق الفاضلة:** و هو جوهر التصوف للترقي بالنفس الإنسانية في مدارج السمو الروحي.
- ✓ **المعرفة الذوقية المباشرة:** يهتز الصوفية بين عالمين: الظاهر أو الشهادة، و عالم القلب: الباطن أو الغيب و يرون أنه للوصول إلى المعرفة اليقينية لا بد من سلوك عالم الغيب و هو عالم السالكين و وسيلة ولوجه هو القلب, و يكون ذلك بواسطة الكشف ثم الفيض الإلهي نور الأنوار، التي يصل بها السالك إلى مرتبة العارفين.

ويصوّر القشيري طريق الصوفية قائلا: " المحاضرة (حضور القلب) أول مراتب الطريق، ثم المكاشفة ثم المشاهدة أي حضور الحق من غير بقاء شبهة.[1]، و الكشف يتم في اللحظة الخاطفة أو الومضة السريعة المفاجئة.[2]

- ✓ **الفناء في الحقيقة المطلقة:** بعد تحقيق الطمأنينة الداخلية، يواصل السالك المتصوف طريق المجاهدة و الإقبال بالكلية على الله، حتى يتلاشى وجوده، و لا يشعر بذاته الإلهية, أي انمحاء إرادته في إرادة المطلق.

---

[1] عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد: معروف زريق وعلي عبد الحميد أبو الخير، ط 2، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، بيروت، 1995، ص 75.

[2] التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، طبعة دار الثقافة بالقاهرة، 1974م، ص8.

✓ **الطمأنينة و السعادة المطلقة :** هذه التجربة الذاتية للسالك المتصوف تحقق له حالة من السلام الداخلي والطمأنينة الباطنية و الشعور الغامر بالراحة و الهدوء و انعدام القلق و اندحار التوتر.

✓ **استخدام الرمز في التعبير (الألفاظ الغامضة):** هذا الأسلوب في التعبير من مواجيدهم وأشواقهم إلى الحقيقة المطلقة لا يفهمه إلا السالكون طريقهم، و لا تفتح مغاليقها إلا لأصحاب الكشف الذوقي. كما قال الكلاباذي: " إنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب مكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات و المواجيد، و لا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال و حل تلك المقامات.[1]

[1] التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص87.

المبحث الثاني: نشأة التصوف وتطوره في العالم الإسلامي:

المطلـــب الأول: نشـــأة التصـــوف:

يرى بعضهم أن مفهوم التصوف استحدث بعد عهد الرسول والصحابة، فابن الجوزى يؤكد على أن لفظ الصوفية استحدث ولم يكن معروفاً في عهد الرسول والصحابة " كانت النسبة في عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) إلى الإيمان والإسلام فيقال : مسلم ومؤمن ، تم حدث اسم زاهد وعابد ، تم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخالقاً تخلقوا بها ... وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهر أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة.[1]

ففي الصدر الأول من الاسلام لم تكن هناك حاجة إلى التصوف، نظراً لقربهم من الرسول(صلى الله عليه وسلم) واتصالهم به، فلفظ الصحابة أشرف من أي لفظ آخر، شرف صحبة رسول الله، ولا يعلوعليه شرف، فكان يطلق عليهم لفظ الصحابة والتابعين وأهل البيعة والمؤمنين والمسلمين، فهم أهل تقوى وورع وعبادة ومجاهدة، فهم صوفيون فعال، وإن لم يطلق عليهم متصوفة، فهم لم يكتفوا بفروض الإسلام ، واقترنت لديهم بالتذوق والوجدان ، وابتعدوا عن المحرمات والمكروهات، حتى استنارت قلوبهم وفاضت بالأسرار الربانية بصائرهم.[2]

وفي القرن الأول لم يعرف أسم التصوف، بل كان أهله يعرف باسم الزهاد والنساك والبكائين، وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً، وما كان ابتعادهم

---

[1] ابن الجوزي، تلبيس ابليس، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الاولى سنة 1403ه، دار العلم، بيروت، ص156.

[2] ابن الجوزي، تلبيس ابليس، المرجع نفسه، ص157.

عن الدنيا إلا لإرتياعهم من عذاب الآخرة ، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيت الوحدة الصافية و الانعزال عن صخب الحياة المادية.[1]

وقد ظهرت مجموعة من الزهاد الأوائل منهم الحسن البصري المتوفى110هـــــ، ومالك بن دينار المتوفى131هـــــ، وإبراهيم بن الأدهم المتوفى161هـــــ، وغيرهم كمثال الزهد الممتد من عهد الصحابة(رضي الله عنهم)" وكان الحسن البصري أشهر هؤلاء الزهاد في العصر الأول ، وظهرت من بينهم طائفة عرفوا بـــ (البكائين) لفرط بكائهم تحسرا على ما اقترفوه من الذنوب، ولو كانت يسيرة، طمعا في نيل عفوالله ورجاء لغفرانه، فكانت السمات المميزة لتلك الحركة الزهدية العظيمة المبالغة في التعبد تقرباً إلى الله بالنوافل والذكر وشدة العناية بالناحية الاخلاقية، ومن أهم مظاهرها التوكل باعتبارهً أساسا من أسس الأخلاق الصوفية "[2]، وكان أول ظهور للتصوف في البصرة وهذا ما أكده ابن تيمية "فإنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة"[3]

بعد الفتوحات الإسلامية اختلط المسلمون بشعوب وحضارات وثقافات مختلفة، وانغمس المسلمون في حياة الترف والملذات، كرد فعل على هذه الحياة اتجه المسلمون المتشددون، وخاصة عند أهل البصرة والكوفة إلى المغالاة في سلوكهم التعبدي، الانعزال عن الدنيا و الايتعاد عن النهج الاسلامي الصحيح، وأيضا ما حصل في المجتمع الاسلامي من الفتوحات والحروب وإراقة الدماء أسهم في ظهور المتصوفة الذين فضلوا العزلة على إراقة دماء المسلمين.[4]

---

[1] ابن تيمية، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، محمد عربي، عالم الكتب، ط1، 1407ه ــ1987م ، ص182.

[2] محمد الطيب، إسلام المتصوفة، رابطة العقليين العرب، دار الطلائع، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص34-35.

[3] ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تقديم محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة، د.ت، ص15.

[4] ابن تيمية، الصوفية والفقراء، المرجع نفسه، ص15.

المطلـــب الثانـــي: تطـــور التصـــوف:

لا شك أن التصوف الاسلامي قد مر بعدة أدوار ومراحل تاريخية، وقد تميز كل دور بخصائص مميزة وظهرت العديد من الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في بيئتها المعاصرة وفي العصور اللاحقة، والواقع أن التجارب الروحية والنفسية التي مر بها المتصوفة المسلمون لا تقتصر فيها على كونها تجارب شخصية أو فردية، وإنما تمتد بعضها ليصبح تجارب إنسانية بالغة العمق.[1]

➢ **المرحلـــة الاولى:** (مرحلة القرنين الاول والثاني الهجريين) مرحلة الزهد :

نشأت تحت تأثير عوامل إسلامية صرفة وكان سبب نشأته سببان :

- السبب الاول: تعاليم الاسلام، التي منبعها القرآن والسنة والتي تدعو إلى الزهد والتبتل والعبادة وقيام الليل
- والسبب الثاني: اتساع الرقعة الإسلامية، وما نتج عنها من حياة البذخ والترف التي صاحبت الفتوحات الإسلامية، و إطلاعهم على حضارات وثقافات الشعوب الآخرى ، فأثار ذلك حفيظة مجموعة من المسلمين فاعتزلوا حياة البذخ والترف، والحياة السياسية وإراقة الدماء كمقتل عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، ومقتل على بن أبي طالب(رضي الله عنه)، ومقتل عدد من الصحابة، جعل بعضا من المسلمين يعتزلون الحياة تعففا منهم، و الاتجاه إلى القرآن والسنة، فظهر الزهد، ويعد الحسن البصري مثالً لهذه الحركة.[2]

➢ **المرحلـــة الثانيـــة** : (مرحلة القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية) :

تطور الزهد لم يعد فردياً بل أصبح حركة منتظمة يطلق عليها التصوف، وأخذ الصوفية يتحدثون في مواضيع جديدة كالسلوك والمقامات والأحوال والمعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء، وهناك نوعان من التصوف في هذين القرنين أحدهما : سني يتقيد بالكتاب والسنة

[1] حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط،1991، ص27.

[2] دلال حوحو، الصوفية والتصوف بحث في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق، ص113 .

ويعتمد عليهما باعتبارهما مصدرين من مصادر التصوف، ويبتعد هذا النوع من التصوف عن الشطحات الصوفية والكرامات الخارقة ، وهذا هو التصوف المقبول والثاني فلسفي يمتزج فيه الذوق بالنظر العقلي، ينطلق هذا النوع من **الفَنَاءُ**، إلى مرحلة الاتحاد والحلول، وهذا النوع مرفوض " وفي هذا القرن وما بعده تولدت بعض الأبحاث الصوفية وظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التي تواضعوا عليها وأخذت هذا الأبحاث تنمو وتتزايد كلما تقادم العهد عليها وبمقدار ما اقتبسه القوم من المحيط العلمي الذي يعيشون فيه تطورت هذه الأبحاث والنظريات، ولقد استفاد المتصوفة من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء، ما كان له الأثر الأكبر في هذا التطور الصوفي، غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ وافر، بل كونوا فلسفة خاصة بهم، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالاً أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة، مما أثار عليهم جمهور أهل السنة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد والتقشف وتربية النفس وإصلاحها.[1]

لقد تعرض بعض المتصوفة (الحلاج) إلى الاضطهاد من قبل الفقهاء والمتشددين وظهر الخلاف على حقيقته حوالي منتصف القرن 3 هـ/9 مـ بين فقهاء البصرة والكوفة ومتصوفتهما، ثم تلته سلسلة من الاضطهادات في مصر والشام والعراق انتهت بمأساة الحلاج "[2] بتعذيبه ومقتله.

وفي القرن الخامس الهجري، استمر التصوف السني المعتدل ويمثله أبو حامد الغزالي حيت حاول إرجاع التصوف إلى مسلكه الصحيح وإلى مصدره الإسلامي السني المعتدل " وإذا كانت محاولة القشيرى ترمى إلى إعادة العقيدة الإسلامية إلى التصوف فإن محاولة الغزالي ترمى إلى إدخال التصوف في طلب الإسلام السني، وقد أصبح كتابه (إحياء علوم الدين مصدراً للتصوف السني من غير جدال"[3] فتصوف الغزالي مثال للتصوف الإسلامي المعتدل المستمد

---

[1] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2000، ص250-251.

[2] محمد بن الطيب، إسالم المتصوفة، مرجع سابق ، ص38.

[3] حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، دارالجيل، بيروت لبنان، ط3، 1993، ص 384.

من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن أبرز كتبه في التصوف إحياء علوم الدين. والمنقذ من الضلال.

- **المرحـــلة الثالثـــة** : (مرحلة القرنيـــن الســـادس والسابـــع الهجريين):

تتميز بظهور التصوف الفسلفي، نظراً لتأثيره بالمؤترات الخارجية كالفلسفة اليونانية، والفارسية والهندية والمسيحية واليهودية، ويبدو تأثير الفلسفة اليونانية على التصوف الإسلامي من خلال الأفلاطونية المحدثة وتأثيره على المذهب الإشراقي : ويعد السهروردي مثالاً لهذا المذهب " على الرغم من اختلاف الأسلوب والتعبيرات، يلاحظ الباحث أن مذهب السهروردى لا يخرج عن كونه نسيجاً محكماً على منوال مدرسة ابن سينا الإشراقية المتأثرة بالأفلاطونية المحددة[1] وتأثيرها أيضاً يظهر واضحاً على محي الدين ابن عربي القائل بوحدة الوجود، وابن سبعين ونظريته في الوحدة المطلقة وغيرهما " وذلك كوسيلة حاولوا بها الجمع والتوفيق بين نصوص الشرع المنزل والأنظار الفلسفية استمدوها من دوائر الفكر الأجنبي، ذلك إن التفسير المألوف المعتمد على المأثور مما يتسع المجال فيه "[2]

بعد هذه المرحلة أصيب التصوف بنوع من التدهور، فلم يُضف جديد بعد القرن السابع الهجري، إلا مجرد شروح وترديد لمن سبقهم من المتصوفة الأقدمين، وربما السبب في ذلك لما تعرض له الصوفية من اضطهاد لا شك أن التصوف الإسلامي في مراحل تطوره المختلفة من تأثر مصادر إسلامية داخلية ومصادر خارجية.[3]

---

[1] محمد غالب، التصوف المقارن، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د.ت، ص113.

[2] عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل بيروت، ط.1، 1999، ص77.

[3] عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع نفسه، 1999، ص77.

المطلـــب الثالـــث: نشـــأة الطـــرق الصوفيـــة:

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني430هـ أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلا عن طريق الوراثة، ويذهب مؤلف موسوعة الصوفية "عبد المنعم الحفني" وغيره إلى أن عبد القادر الجيلاني، صاحب الطريقة القادرية (471ـ 561هـ)، هو أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها وكانت الرفاعية هي ثاني طريقة، وتلت هذه الطريقة المولوية المنسوبة إلى الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي وتنتشر في العالم اليوم مئات الطرق، إضافة إلى طرق كثيرة اندثرت، وقد أحصى مؤلف "الموسوعة الصوفية" أسماء 300 طريقة صوفية في عدد بسيط من الدول الإسلامية، ناهيك عن الدول الأخرى

ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت 540هـ) وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن (549ـ 587هـ) صاحب مدرسة الإشراف الفلسفية، وفي تلك المرحلة، وفي مراحل أخرى برز عدد كبير من رموز الصوفية من ذوي الأصول الفارسية مثل الحلاج والبسطامي والسهروردي والغزالي وغيرهم الكثير ممن اعتبروا مرجعاً ورمزاً لجميع المتصوفة حتى يومنا هذا. كما أن كتب وأفكار شيوخ الصوفية القدامى هي التي تسير عليها الطرق الصوفية اليوم.[1]

المبحث الثالث: ظهور الفكر الصوفي في الجزائـــر قبل الوجـــود العثماني:

في الجزائر أو ما يعرف قديماً بالمغرب الأوسط، فقد بدأ التصوف فيه تصوفاً نظرياً، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري، واتجه إلى الناحية العملية التصوف، وأصبح يطلق عليه «تصوف الزوايا والطرق الصوفية». كان من أوائل وأحد أوتاد الطريقة الصوفية في

[1] رأفت صلاح الدين، نشأة الصوفية، متاح على الموقع: https://saaid.org/feraq/sufyah/106.htm، تمت الزيارة يوم 2025/06/30، PM.16:15.

الجزائر: الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، وقد عرفت طريقته المدينيـــة شهرة واسعة وأتباعاً كثر في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي، وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (ت 665 هـــ= 1228 م)، ثم ازدادت نشاطاً وأحياها من بعده شيخ الطريقة الشاذلية وتلميذه ابن مشيش أبو الحسن الشاذلي. وكان لتعاليم الشاذلي في الجزائر الأثر الأكبر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية.

ومن أبرز علماء الجزائرالذين شاع التصوف العملي وانتشر بسببهم عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، اللذان يعتبران من كبار العلماء والزهاد في القرن التاسع الهجري، فقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي، وانتفع بكل منهما خلق كثير وكان لهما تأثير في المعاصرين وفي اللاحقين، وقد كانا كلاهما من أتباع الطريقة الشاذلية، وألفوا كتبا في أصولها وفي تراجم رجالها.[1]

اتخذ التصوف في الجزائر منذ بداية ظهوره بها أبعادا اجتماعية، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد في القرون السابع والثامن والتاسع الهجرية وانساق الناس ورائه لما وجدوا فيه من مساواة وعدل وإحساس بالوجود والأهمية، فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب الشعبي والتمييز الطبقي بين طبقة الأغنياء والمترفين وطبقة الفقراء والمعدمين.[2]

المطلـــب الأول: مـــراحـــل التصـــوف في الجزائـــر قبـــل الوجـــود العثمانـــي:

مـــر التصوف فـــي الجزائـــر بمرحلتيـــن أساسيتيـــن همـــا:

1- فتـــرة التصـــوف النخبـــوي: وذلك خلال القرون السادس والسابع والثامن الهجرية: وهي الفترة التي بقي فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة، واقتصاره على طبقة معينة

---

[1] صحراوي عبد القادر، عبد الرحمن الثعالبي: الإمام المتصوف في فكر عبد الرزاق قسوم، مجلة الحوار المتوسطي، مج 9، ع 2، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018، ص ص 171–176.

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، ط1، 1425ه/ 2007م، جامعة ورقة، ص26.

من المتعلمين، وعدم انتشاره بين الطبقات الشعبية، وبقائه في الحواضر الكبرى: تلمسان، بجاية، وهران.

أولا : عصـــر الفاطميـــن (296-567):

لقد كان أول ما عرفت الجزائر بدعة التصوف في عصر بني عبيد الذين ادعوا النسب الفاطمي، حيث كانوا يفسرون الإسلام ونصوصه وتعاليمه تفسيرا باطنيا يلتقي مع بدعة التصوف المأخوذة من الفكر اليوناني لفظا ومعنى، حيث إن كلمة الصوفية مشتقة من كلمة (سوفيا) اليونانية التي تعني الحكمة، كما قاله البيروني ويؤكده مضمون التصوف المختلط بالفلسفة والمتفق معها في غايتها فقال الجرجاني:«الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السعادة الأبدية"، وقال الكاشاني: "التصوف: هو التخلق بالأخلاق الإلهية". ولذلك قال ابن عربي:«ومن شروط المنعوت بالتصوف: أن يكون حكيما ذا حكمة. وإن لم يكن فلا حظ له من هذا اللقب». وقد بين ابن خلدون في مقدمته أن الصوفية كانوا مخالطين للإسماعلية الباطنية "فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم".

وفي تأكيد هذه الحقيقة التاريخية يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي في كتابه الإسلام الصحيح إن الدولة الفاطمية الباطنية قد "سممت الأمة الإسلامية" بمعتقداتها ومخترعاتها وكفرياتها وادعاء علم الغيب والعلم الباطني.[1]

ويؤكدها أيضا الشيخ مبارك الميلي في تاريخ الجزائر لكن مع بيان موقف العلماء المسلمين من فكرهم وعقائدهم فقال رحمه الله :«وقد عرفت الجزائر التصوف زمن بني عبيد، لكن العلماء أنكروا عليهم وكفروهم.

[1] محمد حاج عيسى الجزائري، نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر، مقالات وبحوث تاريخية، د ط، 1432ه/ 2010م.

ثانيـــا : عصـــر المرابطيـــن (480-541):

استمر رفض العلماء المالكية وغيرهم للعقائد الصوفية بعد زوال دولة بني عبيد عن المغرب العربي وظهر هذا الرفض جليا بما اشتهر من فتاوى المالكية بإحراق كتب الغزالي لما دخلت المغرب وعلى رأسها إحياء علوم الدين، وأمر ابن تاشفين بذلك، والعلماء إنما أنكروا هذه الكتب لا لما تضمنته من مواعظ ورقائق ولكن لما تضمنته من تعاليم التصوف الفلسفي المضاد لشريعة الإسلام، ولذلك قيل إن الغزالي أمرضه الشفاء لابن سينا. على أن رفض العلماء لإحياء الغزالي لم يكن قاصرا على المالكية المغاربة، بل شمل علماء المشرق من شافعية وغيرهم فقد أنكروا على الغزالي ما في كتبه من فلسفة وتصوف غال، وقد أشار إلى ذلك الغزالي نفسه في مقدمة كتابه منهاج العابدين أرجع سبب قدح القادحين إلى أن الإحياء احتوى دقائق اعتاصت على أفهامهم.[1]

ثالثـــا : عصـــر الموحديـــن (515-668):

بقي الأمر على ذلك حتى جاءت دولة الموحدين التي نشرت كتب الغزالي كما قال الشيخ مبارك الميلي رحمه الله، ونشر الموحدين لكتب الغزالي أمر مشهور في التاريخ على أنه لم يكن مقتصرا على كتب السلوك بل شمل نشر كتب أصول الفقه وأصول الدين، لأن ابن تومرت كان قد تتلمذ على الغزالي وتأثر به. ويؤكد الشيخ الميلي رحمه الله على دور الدولة الموحدية في نشر بدعة التصوف فيقول :« فلم يكن يومئذ بالمغرب شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة المؤمنية ونشرت المعارف ونصرت الفلسفة، فظهر من الصوفية رجال ذوو علم طار صيتهم في الآفاق.[2]

ويقول الشيخ أبو يعلى الزواوي:« فإذا تأملت أيها الواقف في استمرار الدولتين المخزيتين العبيدية والموحدية قرونا كثيرة كما تقدم زال عنك التعجب وظهر لك سبب الضلال وسبب

---

[1] الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 173.

[2] الكاشاني، اصطلاحات الصوفية، تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 49.

شغف الناس بالأولياء الأموات والأقطاب والأغواث والأبدال والمجاذيب وسائر المتصوفين في الغيب على اعتقادهم الغيب والباطن، وأن جميع ما يقع في الكون بتصرفهم وقضائهم».[1]

❖أعــلام التصــوف فــي المرحلــة الموحديــة:

ذكر الشيخ الميلي في كلمته التي نقلناها أنه ظهر من الصوفية في عهد الموحدين رجال ذوو علم طار صيتهم في الآفاق، ولذلك عرف التصوف في أول مراحله بأنه تصوف علمي لا يصل إلى فهمه إلا من له باع في الفلسفة فبقي تصوفا علميا أو تصوفا خاصا بالنخبة كما يعبر عنه في الاصطلاح المعاصر، ومن هؤلاء المشاهير الذين عرفتهم الجزائر:

أولا : أبو مدين شعيب الأندلسي دفين تلمسان المتوفى سنة (591 هـــ1194م) قرأ على ابن حرزهم وغيره، وأخذ التصوف عن أبي يعزى يلنور بن ميمون (وهو من المغرب الأقصى)، ويقال إنه لقي في عرفة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكان قد استوطن بجاية ودرس فيها رسالة القشيري وغيرها، ولما كثر أتباعه وذاع صيته استقدمه يعقوب بن يوسف المنصور الموحدي إلى مراكش فلما بلغ تلمسان توفي بها.[2]

ثانيا: عبد السلام بن مشيش (ت 625هـــ- 1228م) وهو عبد السلام بن سليمان المعروف بمشيش، أخذ طريق التصوف عن أبي مدين شعيب و عبد الرحمن بن حسن العطّار الشهير بالزيات، من آثارها دعاء المشيشية مات مقتولا في شمال المغرب الأقصى.

ثالثا : أبو الحسن الشاذلي (ت:655-1258) وهو علي بن عبد الله المغربي الأصل نسب إلى شاذلة وهي قرية بتونس لإقامته بها، أخذ التصوف عن ابن مشيش في المغرب وأقام مدة في تونس ثم انتقل إلى الاسكندرية بمصر حيث نشر مذهبه وصار له أتباع عرفوا بالدراويش وبالفقراء والدرويش كلمة فارسية معناها القانع والفقير، وله أحزاب تتلى منها حزب البحر،

---

[1] الكاشاني، المرجع السابق، ص 49.

[2] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 341.

وتوفي بأرض الحجاز، وإليه تنسب الطريقة الشاذلية وسيأتي الحديث عنها وعن طوائفها الكثيرة في الجزائر.

رابعا : محي الدين بن عربي الأندلسي (ت:633=1240)، ولد في مرسية بالأندلس ودرس بإشبيلية الفلسفة، وقد كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات ويستعمل في كلامه عبارات غامضة وأحيانا يستعمل عبارات صريحة في الكفر والقول بالإلحاد كقوله:«التثليث أساس الوجود ومع أن الله في اعتقادنا فرد فأول عدد فردي ثلاثة لا واحد» ، زعم أن الولاية أعلى رتبة من النبوة وأنه خاتم الأولياء، وأتباعه يلقبونه بالشيخ الأكبر رحل إلى المشرق وأقام في بجاية مدة واستقر في دمشق وتوفي بها.

خامسا : عبد الحق بن سبعين (ت:669-1269) فيلسوف أندلسي، أخذ التصوف عن أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن الدهاق، وانتقل إلى سبتة ثم طرد منها فسكن بجاية مدة وأقرأ بها ثم لحق بالمشرق وبقي بمكة إلى وفاته، ومن كلامه :« شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة». وهو من القائلين بوحدة الوجود.

❖ أعــلام التصوف العملــي (الزهــد) بعد الموحديــن:

وبعد عصر الموحدين لا شك أن هذا الفكر الغالي والمنحرف قد وجد من يتبناه، كما وجد إلى جانب ذلك من عرف الزهد أو ما يسمى عند البعض بالتصوف السني أو التصوف العملي لا الفلسفي، وتبنى هذا الاتجاه جمهرة من الفقهاء العلماء البعيدين كل البعد عن الفلسفة وزنادقتها ، كما نجد ذلك في كتب تراجم المغاربة عموما؛ فإنهم كانوا مائلين إلى الزهد في الدنيا مع صلاح ظاهر وورع تام، دون إيغال في التعبد والترهب أو ولوج في باب الشركيات.[1]

ومن أعلام هذا الاتجاه الشيخ الفقيه الزاهد أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت 875هـ =1471) ولد في مدينة يسر وطلب العلم في بلده ثم في بجاية فلقي بها أكابر أهل

[1] سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين – أبو مدين شعيب (ت594هـ) أنموذجًا، مجلة الإحياء، مج 22، ع2، جامعة باتنة، الجزائر، 2022، ص ص 767–780.

العلم في زمانه ولم يقنع فرحل إلى تونس ثم مصر ثم تركيا ثم الحجاز وقفل راجعا إلى وطنه بعد رحلة طويلة في طلب العلم واستقر بالجزائر العاصمة حيث عكف على نشر العلم تدريسا وتأليفا، فتخرج على يديه كثير من العلماء، من أشهرهم: محمد بن يوسف السنوسي ومحمد المغيلي التلمساني ومحمد بن مرزوق الكفيف وأحمد الزروق وأحمد بن عبد الله الزواوي، وإلى عصر هذا الشيخ الذي اشتهر بالزهد وكثرت مؤلفاته في الوعظ والرقائق لم تنتشر الطرق الصوفية، وإنما انتشرت هذه الطرق في عصر تلاميذه أي في القرن العاشر الهجري.[1]

2- فتـــرة التصـــوف الشعبـــي: أو ما تعرف بفترة الانتقال من التصوف الفكري إلى التصوف الشعبي، وقد وقع ذلك في القرن التاسع الهجري، وفيها انتقل التصوف من الجانب النظري إلى الجانب العملي، وهو الانتشار الكبير للزوايا والرباطات في الريف والمدن، وانضواء الآلاف من الناس تحت لوائه، والتركيز على الذكر والخلوة، وآداب الصحبة وما إليها من مظاهر التصوف الشعبي. وبفتح باب التصوف للعامة وأهل الريف، انتقل من النخبة إلى العامة، من المدينة إلى الريف، وظهرت الطرق الصوفية الكبرى وانتشرت في مختلف أرجاء القطر: كالقادرية، المدينية، الشاذلية.[2]

ابتداء من القرن العاشر الهجري بدأ يظهر ما يسمى بالطرق الصوفية، الذي قام على مبدأ تحزيب الأتباع وإعطاءهم العهود والمواثيق للشيوخ، حتى يلتزموا بطاعة الله وطاعة الشيخ، وقد رتب من أسس هذه الأحزاب ترتيبا يتدرج فيه المسلم الذي يريد الوصول إلى درجة الإحسان في العبادة وإلى ما هو أعلى منها، وهو ترتيب ما أنزل الله به من سلطان، فمن حضر وهو يريد الدخول إلى طريقة الشيخ يسمى تلميذا، فإذا دخل وكان في أول الطريق يسمى مريدا، فإذا طال به العهد واختاره الله لحبه صار فقيرا، فإن تقدم به الحال إلى ما يسمى

---

[1] محمد حاج عيسى الجزائري، نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر، مقالات وبحوث تاريخية، د ط، 1432ه/ 2010م.

[2] أول موسوعة إسلامية عن التصوف.. جزائرية، إسلام اون لاين، متاح على الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki/ تاريخ الولوج يوم 2025/07/02، 10:05Am .

بالمكاشفات فهو السالك، وإن وصل إلى مرحلة الفناء وفقدان الوعي والانجذاب إلى الله تعالى فهو المجذوب، وجعل كل شيخ يزعم أن له طريقا موصلا إلى الله تعالى لأتباعه أورادا وأذكارا يلتزمونها ويتميزون بها عن أهل الطريقة الأخرى، وربما جعل بعضهم لأتباعه هيئة معينة في اللباس والعمامة والسبحة ونحو ذلك.[1]

وتعميم هذا الفكر على عامة الناس شجع كثيرا من الدجاجلة ومدعي الزهد والعبادة على الانتساب للتصوف، فأصبحوا يؤسسون لأنفسهم أو لشيوخ معروفين بالزهد قد ماتوا طرقا صوفية يكتسبون بها الأتباع والأرزاق، لأن أمر الطرق لم يعد قاصرا على اتباع منهج معين في الذكر مع معاهدة الشيخ على لزوم الاستقامة؛ بل ترقى إلى تقديم القرابين وخدمة الشيخ وأولاده مقابل إعطاءه الضمان للمريد (أو ما يشبه صكوك الغفران)، وتعدى الأمر إلى الدعاية إلى عبادة القبور من أجل كسب الأرزاق وجمع الزكوات وكثير من هؤلاء الدجاجلة قد عادوا في تصوفهم إلى التصوف الفلسفي الأصيل المبني على إنكار الشريعة ودعوى الحلول والاتحاد[2]

المطلب الثاني: العوامل المساعدة على انتشارالتصوف بالجزائر قبل الوجود العثماني:

1- العامل السياسي:

- **سقوط الدولة الموحدية:**

بعد سقوط الدولة الموحدية انقسم المغرب الاسلامي الى دويلات وامارات، المرينيون في المغرب الأقصى(المغرب) وبنو عبد الواد الزيانيون في المغرب الأوسط (تلمسان) وبنو حفص في المغرب الأدنى(تونس)، وانتشرت العداوة بين هذه الدول وكانت الحرب هي لغة الحوار بينهم، الأمر الذي اضعف قوتهم وسمح ذلك الوضع في تقوية أعدائهم من الاسبان الكاثوليك

[1] أول موسوعة إسلامية عن التصوف.. جزائرية، المرجع السابق، تاريخ الولوج يوم 2025/07/02، Am10:05 .

[2] أول موسوعة إسلامية عن التصوف، مرجع سابق، تاريخ الولوج يوم 2025/07/02، Am10:05 .

الذين تشجعوا واسقطوا قلعة الاندلس ثم احتلوا سواحل بلاد المغرب الاسلامي من مدينة طنجة غرباً الى برقة شرقا.[1]

- **سقــوط الأنــدلــس:**

عند سقوط الدولة الأموية بالأندلس 430 هـ وقيام دولة الملوك والطوائف استفحلت الردّة، ومما نتج عن سقوط الأندلس الغزو الإسباني لمعظم سواحل المغرب مما أدّى إلى حالة تأهب دائمة حمل رايتها الصوفية بإنشاء الرباطات والزوايا، وهو ما يفسر انتشار الرباطات والزوايا بالساحل الغربي مقارنة بالشرقي وهجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الجزائر، حيث استقروا ببجاية وتلمسان، ومنهم من رحل إلى المشرق، ومن هؤلاء (الإشبيلي، ابن سبعين،الحرالي)[2]

2- **عوامــل اجتماعيــة:** تتمثل فيما يلي:

- ✓ انتشار الترف والبذخ في عهد المرابطين بعد وفاة يوسف بن تاشفين 500 هـ.
- ✓ تراجع القيم الدينية والأخلاقية.[3]

3- العامــل الدينــي والفكــري :

كان الدين الاسلامي الموجه الوحيد لسلوك سكان المغرب الإسلامي منذ الفتح الاسلامي للمنطقة، وهو ذو تأثير عميق في سلوكيات وعقائد سكان المنطقة جمعاء، و قد اصبح الرابط الروحي بين عامة السكان وعلمائه من فقهائه وأئمته وصلحائه وأوليائه، وتعمقت هذه الرابطة عندما حملت النخبة من هؤلاء الصفوة رسالة الدفاع عن العامة من الناس، أمام السلطة السياسية التي كانت تحاول تحقيق مصالحها دون النظر على أحوال السكان واستمر سكان المغرب الاسلامي الاوسط على هذه الحالة لعدة قرون.[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1998، ص. 112-114.

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص28.

[3] عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع نفسه، ص ص 28-29.

[4] قول معمر، التصوف والطرق الصوفية بالجزائر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، 2020، ص 3.

4- العامـــل الإقتصـــادي:

نبه البعض من الباحثين إلى التلازم بين الثراء الاقتصادي، وظهور الزهد والتصوف من ذلك أن مدن المغرب الأوسط التي شهدت حركة زهدية كطبنه والمسيلة وقلعة بن جماد وورجلان وتقرت قبل القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي هي في الزمن ذاته مراكز تجارية ومعابر لحركة التجارة بين المغرب والمشرق وبلاد السودان، وقمة الثراء الاقتصادية لهذه المدن، كان له دور في تحويل الناس إلى الاهتمام بالمال، ما خلق بذلك التوازن الاجتماعي لصالح الأثرياء والتجار وصارت اعتبارات تقييم الأفراد وتحديد مراكزهم مرتبطة بما يملكون من متاع الدنيا وزينتها، مما أدى إلى ظهور أفكار تدعوا إلى الزهد، "ويبدو أنهم دعوا إلى الزهد، "ويبدو أنهم كانوا من الكثرة في طبنة ما جعل ابن حوقل يصف طبنة البيئة العامرة الصلحاء منهم عبد الرحمان بن زد الله الطبني أما في المسيلة فقد ظهرت ملامح الزهد مخلوف المسيلي وكذلك في قلعة بن حماد ظهر الزاهد قاسم بن مالك وفي تقرت ظهرت حركة الزهد الإضية يحث لها أبو عبد الله محمد بن أبي بكر وفي بجاية هذه الأفكار أولى نفحات التصوف البني التي نادى بها أبو محمد عبد الحق الإشبيلي.[1]

[1] الطاهر بوناني ،التصوف في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 90.

الفصل الثاني: الفكر الصوفي في الجزائر خلال الحكم العثماني

المبحث الأول: التصوف وانتشاره في الجزائر خلال الحكم العثماني

المبحث الثاني: أهم الطرق الصوفية وأبرز رموزها

المبحث الثالث: العلاقة بين الزوايا والسلطة العثمانية

مدخـــل:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تحولات جوهرية في مختلف المجالات، ومن أبرز ملامح هذه المرحلة التاريخية بروز الطرق الصوفية بوصفها فاعلًا دينيًا وثقافيًا وسياسيًا. ويتناول هذا الفصل دراسة هذه الطرق من حيث نشأتها وانتشارها، وتأثيراتها المتعددة على المجتمع الجزائري، فقد أولت معظم الزوايا الصوفية اهتمامًا كبيرًا بالتعليم الديني والتنشئة الروحية، وأسهمت في ترسيخ القيم الأخلاقية ونشر المعارف بين عامة الناس.

غير أن هذا الحضور القوي للتصوف لم يخلُ من مظاهر الانحراف، حيث ساهمت بعض الممارسات في ترسيخ معتقدات مغلوطة حول الولاية والكرامات، مما أدى إلى شيوع ثقافة الأضرحة وتعظيم الأولياء، إلى درجة الاستغاثة بهم والاعتقاد بقدرتهم على النفع والضر، وهو ما انعكس جليًا في الإنتاج الثقافي الصوفي، من خلال انتشار أدب المناقب وشعر الغوثيات. وقد ظهرت، في المقابل، بعض الكتابات الإصلاحية التي سعت إلى مواجهة هذه المعتقدات وتنقيتها مما علق بها من خرافات.

أما على الصعيد السياسي، فقد ارتبطت الطرق الصوفية بعلاقات متشابكة مع السلطة العثمانية، حيث ساد نوع من تبادل المصالح بين شيوخ الزوايا والحكام المحليين في فترات الاستقرار.

وسنسلط الضوء في هذا الفصل على التصـــوف وانتشـــاره في الجزائـــر خلال الحكـــم العثمانـــي، أهـــم الطـــرق الصوفيـــة وأبـــرز رموزها وأخيرا العلاقـــة بيـــن الزوايـــا والسلطـــة العثمانيـــة.

المبحـــث الأول:التصوف وانتشاره في الجزائر خلال الحكم العثماني

المطلـــب الأول: التصـــوف و انتشـــاره في الجزائـــر:

اتسم العهد العثماني في الجزائر بانتشار ظاهرة التصوف، وسيطرتها على توجيه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية بوجه لم يسبق لهذه البلاد أن عرفت مثيلاً له رغم أنه كان منتشراً قبل وبعد هذه الفترة حيث ساهمت الحركة الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني في تنمية "الحس الروحي" الذي كان يجمع شتات القبائل تحت مظلته، وبه كانوا يشعرون أن مصيرهم واحد إزاء الغزو الصليبي لهم، فرغم تفرقهم وتناحرهم أحياناً، من أجل توسيع نفوذهم واكتسابهم لمزيد من الإقطاعات، إلا أنهم سرعان ما توحدهم كلمة "الجهاد" في سبيل الذود عن حرمة الإسلام وحماه، وأن الصوفية في الغالب هم الذين كانوا يغذون تلك الوطنية الدينية" أو ما يمكن أن نطلق عليه "سلطة الصوفية."

ولقد أعطى التجاوب بين الصوفية والسلطة العثمانية، نتاجاً ثقافياً غزيراً، مشوباً في أغلبه بالتصوف، والتفكير الباطني، المعتمد على المجاهدة وتصفية النفس بالترك والزهد والتخلي للتحلي، وقلَّما نجد نتاجاً ثقافياً يعود إلى هذه الفترة قد نجا من "حمّى" التصوف.

شجع العثمانيون رجال التصوف، وأهل الطرق الصوفية، وذلك بانحيازهم المعنوي في بادئ الأمر وفيما بعد شاركوا مشاركة فعلية في بناء القبب والأضرحة والمزارات، وهناك عدد كبير من الوثائق التي تدل على تلك المشاركة السخية

كما ساعدوا "الصالحين" ببناء الزوايا والرباطات، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً سخية، فرتبوا لبعضها أوقافاً خاصة[1].

ويجد القارئ أيضاً عبارات أو نصوصاً كثيرة تدل على مشاركتهم في تشييد القبب مثل: "أمر بتشديد هذه القبة المباركة مع التابوت أمير المسلمين السيد مصطفى باي أيده،

[1] محمد الشريف سيدي موسى، جذور التصوف ببلاد المغرب والجزائر، الندوة الفكرية الخامسة للشيخ محمد العدواني، الوادي /نوفمبر 2000م، ص ص 3 -4.

بذلك وجد التصوف المجال خصبا للنماء والانتشار والشيوع بين العامة والخاصة، وتطعم بالمعتقدات الشعبية المحلية فانتشرت لذلك بجانبه الخرافة والإيمان بالشعوذة وعمت الطريقة، فلا نكاد نجد علماً من الأعلام المشهورين بعلم الظاهر أو الباطن غير منتسب لطريقة أو لشيخ معين وكيف لا و حكمة أبي يزيد البسطامي القائلة: "من لا شيخ له فشيخه الشيطان".[1] كانت رائجة على كل لسان، لذلك كان الناس يفخرون بانتسابهم إلى هذه الطريقة أو تلك، وإلى هذا الشيخ أو ذاك، وكثيرا ما نجد في تراجم الأعلام لهذه الفترة عبارة مثل: فلان "أخذ" عن الشيخ الفلاني "علم الظاهر" أو "علم الباطن" أو هما معا، وأما العامة من الناس، وبخاصة منهم النساء، فيكتفون غالبا، بالاعتقاد الراسخ في الشيخ أو الضريح" القريب منهم، ويلجئون إليه كلما أصابهم ضرأو ألمت بهم مصيبة. وما تزال آثار هذه المعتقدات سارية إلى اليوم في بعض الأوساط الشعبية، وأحيانا في أوساط المتعلمين، وحتى المثقفين منهم، ذلك أن أغلب الشيوخ المتصدين للإفتاء والتدريس كانوا يجمعون بين علمي الظاهر والباطن، كما أن المؤسسة التعليمية المفضلة كانت غالبا هي "الزاوية" وكانت المواد المدرسة في أغلبها دينية مشبعة بروح صوفية، وكان التصوف من بين المواد المدرسةمن خلال بعض الكتب المشهورة كالرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين للغزالي وقوت القلوب لابي طالب المكي وغيرها من أمهات الكتب والتراجم.[2]

وخلاصة القول، هو أن الجزائر العثمانية قد تأثرت كغيرها من البلدان الإسلامية بالحركات الصوفية ومس هذا التأثير جوانب عديدة من حياة الفرد الجزائري، كما استغل الوجود العثماني هذه الحركات وتحالف معها من أجل المصالح المشتركة التي كانت تجمعهما مما وفرالأرضية الخصبة لنماء هذه الحركات واضفاء صبغة خاصة للتصوف

[1] بكاي رشيد، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، العدد 8، 2011، ص ص212–213.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 1998، ص 183.

في الجزائر ويمكننا أن نلتمس هذا التأثير في واقعنا من خلال القبب والمزارات التي لاتزال قائمة إلى اليوم.

المطلـــب الثانـــي: انتشـــار حركـــة التأليف الصوفـــي في الجزائـــر العثمانيـــة:

حيث تعتبر حركة التصوف، في العهد العثماني امتدادا للحركة التي بدأت قبلها بعدة قرون، وأن معظم كبار المتصوفين ومؤسسي الطرق الصوفية، ظهروا قبل القرن العاشر (السادس عشر ميلادي) أما في الجزائر فقد كثر رجال التصوف كثرة تلفت النظر قبل مجئ العثمانيين نذكر منهم :" عبد الرحمان الثعالبي ، محمد الهواري وآخرون عاصروا العهد العثماني مثل أحمد بن يوسف الملياني ومحمد افغول، فالحركة الصوفية إذن سواءا كانت على مستوى العالم الإسلامي، أو على مستوى المغرب العربي فقد ازدهرت قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر.[1]

إن المتتبع لحركة التأليف الصوفي يدرك أن القرون الثالثة الأولى العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجري، قد تميزت بندرة في الإنتاج الثقافي والفكري، خصوصا في القرن العاشر الهجري الذي شهد نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات لذلك أطلق عليها المؤرخون بعصر الانحطاط الثقافي والجمود الفكري، ويقابل ذلك شيوع حركة النسخ حيث تميز الناسخون في هذه الفترة بجودة الخط وحسن اختيارهم الورق وإتقان صناعة الورق واستمرت اثناء العهد العثماني، حيث عرفت حركة النسخ والتأليف الصوفي في هذه الفترة ازدهارا نوعا ما، وإذا كان هذا الواقع الثقافي والفكري قد انعكس على مسار التصوف، فإن فهم أسبابه يقتضي التوقف عند جملة **من العوامل الداخلية والخارجية** التي أسهمت في تشكيل ملامـــح هذه المرحلـــة.

- **عوامل داخلية:** لا شك أن الأوضاع السياسية المضطربة التي شهدتها الجزائر لم تكن عائقا في تطور المدن خلال الوجود العثماني بالجزائر، بل عرفت نموا سكانيا وثقافيا بحيث كانت تشع بمدارسها ومساجدها الثقافية، يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا، أسهمت

---

[1] مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، دار الطليقة للنشر والتوزيع ، قسنطينة، 2003، ص 18.

في ظهور بيوتات علمية وانجبت عددا من العلماء الذين ساهموا في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية بالجزائر العثمانية.

- **عوامل خارجية:** لقد شكل إختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي في الثقافات الوافدة من خارج البلاد، فنتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية التي انتشرت في أنحاء الجزائر لهم مراكز للثقافة العربية، فحمل المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم، متأثر بعوامل خارجية التي ساهمت في ازدهار حركة التأليف في الجزائر العثمانية ومن بينها هجرة الأندلسيين لقد كان اختيار الأندلس للمغرب الأوسط والإقبال عليه ليس على مبدأ الصدفة وإنما للعلاقة المتينة للغاية بين البلدين، لدرجة أن حكام الجزائر وسكانها منذ قدوم الأتراك يعتبرون قضية الأندلس هي قضيتهم وأن مأساة الأندلس إنما هي كارثة حلت بالأمة الإسلامية.[1]

المبحث الثاني :أهم الطرق الصوفية وأبرز رموزها .

المطلب الأول: التعريف بالطرائق الصوفية في الجزائر في العهد العثماني:

إن الطرائق الصوفية التي عرفتها الجزائر في العهد العثماني تبلغ نحو العشرين عددًا، وهي تختلف اختلافا بينا في كثير من جوانبها كمدى تأثيرها الثقافي والسياسي في مجرى تاريخ هذا البلد. ونكتفي هنا بالتعريف بأكثرها ملتزمين الإيجاز والترتيب التاريخي لها تبعا لظهورها بالجزائر، ومقتصرين على ذكر نبذة عن مؤسسها وأصولها وأسنادها في أكثر الحالات. ونقصد بها الشابية، والشاذلية، والزروقية، واليوسفية، والكرزازية،

---

[1] احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، الجزائر، ص 30.

والشيخية والعيسوية، والطيبية، والحنصالية، والزيانية، والرحمانية و التجانية والقادرية والدرقاوية وتوجد بعض الطرائق الأخرى كالناصرية و المدنية.[1]

المطلـــب الثانـــي: أهـــم الطـــرق الصوفيـــة بالجزائـــــر:

ومما ذكرناه من قبل، فقد عرفت الجزائر حركة صوفية قبل مجيئ العثمانيين وحلولهم بالمغرب الاسلامي، لكن هذه الحركة عرفت نشاطاً كبيرا و ازدهارا لافت للعيان في الجزائر خلال تواجد الحكم العثماني. فقد شهدت ساحة التصوف بروز عدد من الزهاد والمتصوفة على نطاق واسع في مدن الجزائر وريفها.

وتجدر الملاحظة، أن الطرق الصوفية في الجزائر، ليست جميعها جزائرية المنشأ، بل هناك من الطرق الصوفية الوافـــدة من المشرق ومن المغرب الأقصـــى، وجدت لها حاضنة لدى ساكنة الجزائر، وانبثق عنها اتباع من مختلف مدن الجزائر وريفها، ودخلت الى وجدان الجزائريين وساهمت بشكل ايجابي في الميدان الاجتماعي والثقافي داخل المجتمع.

1- الطـــرق الصوفيـــة الوافـــدة:

- **القـــادريـــة :**

يعد عبد القادر الجيلاني (470 561هــ / 1077-1166م، جيلان) الذي نُسبت إليه من أكثر الأولياء شهرة في العالم الإسلامي. تلقى دراسته الأولية في مسقط رأسه بإقليم جيلان يقع حاليا في إيران وينطق أيضا (گيلان) نسبة إلى بلدة جيلان في فارس[2]، ثم ارتحل في مطلع شبابه إلى بغداد، فتعمق في علوم الدين والعربية. ومن شيوخه فيهـــا

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924-1246هــ/ 1518-1830مــ تأثيراتها الثقافية والسياسية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران ،2015-2016، ص 27.

[2] Louis rinn, marabouts et khoans, étude sur lislam en algerie. adolphe Jourdan libraire, éditeur, Alger.1884, p176.

أبـــو الحطاب (510هـــ/ 1116هـــ)، وابن عقيل (513هـــ/ 1119م)، والمُخَرِّمِيّ (513هـــ/ 1119م).

ولم نجد في المراجع التي عدنا إليها أي تحديد دقيق أو تقريبي لتاريخ ظهور القادرية ومراحل انتشارها مشرقا ومغربا، من اجل ذلك يتسم تاريخ دخول القادرية إلى الجزائر والبلدان المغاربية كلها بكثير من الغموض وقد ذهب الذين تعرضوا لهذه المسألة كل مذهب، فأكد بعضهم أنها عرفت في هذه البلدان مبكـــرا بواسطة أبي مديـــن شعيـــب[1] (589هـــ / 1192م) دفين العباد بضاحية تلمسان ويتطلب مناقشة مثل هذا القول تفصيلا طويلا لا نود الدخول فيه، ونكتفي بالتعليق على نص لأحد المؤلفين المعاصرين، وهو قوله كما كان قدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية ببلدة منعة كان ذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد وغربها على الخصوص ...» والمعروف عند المؤرخين، ومنهم علمـــاء الأنساب، أن إبراهيم بن الجيلاني هاجر من بغداد إلى واسط (العراق) فتوفي فيها. ولكن هاجر بعض أحفاده إلى الأندلس، ثم هاجر بعض ذرية هؤلاء إلى المغرب الأقصى في أواخر ق9هـــ / 15م.

ولا يعرف أن أحدا من القادريين هاجر قبـــل ذلـــك إلـــى المغرب الأوسط؛ بل المشهور أن الأوائل منهم وفدوا عليه من المغرب الأقصى.

أما الشيوخ الذين اهتموا بنشر القادرية وتأسيس زواياها فلا نعلم عنهم شيئا يقينا قبل ق12هـــ / 18م. ولعل من أوائلهم عبد القادر بن أحمد المختار بن محمد من الأشراف

---

[1] القادري عبد القادر، دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في مجلة «دعوة الحق». المغرب الأقصى، أبريل وماي، 1988، ص 221، وقد أورد مقولة في هذا السياق لعلال الفاسي؛ ب . لطيفة الأخضر : الإسلام الطرقي. دار سراس للنشر، تونس ، 1993م، ص 44.

الأدارسة، اشتهر بسيدي قادة، وله ضريح قرب معسكر وهو الجد الثالث للأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن المختار بن عبد القادر (سيدي قادة. فقد كان سيدي قادة مهتما بتلقين الورد القادري ... ودرست زاويته جميع الزوايا الموجودة يومئذ بهذا القطر » . وتولى أمر الزاوية بعده ولده محمد المعروف بشايب الذراع، ثم صار للقادرية شأن كبير في تلك المنطقة على عهد مصطفى بن المختار بن سيدي ،قادة، وقد أسس لها زاوية القيطنة قرب معسكر . وورث المشيخة عنه ولده محيي الدين (1250هـ / 1834م)، وازدادت الطريقة نفوذا في عهده.

ومن أقدم زواياها المعروفة كذلك تلك التي أسسها سيدي غاشم في يلل (و. غليزان) نحو سنة 1198هـ / 1784م. واشتهر من ذريته الذين تولوا أمرها من بعده عبد القادر الأحول وجاء في إحصاء 1882 ان القادرية كان لها 29 زاوية وهي منتشرة في كافة أنحاء البلاد.[1]

الطريقـــة الشاذليـــة:

الشاذلية هذه الطريقة منسوبة إلى أبي الحسن على الشاذلي غمارة[2] 593 بضواحي بمدينة سبته المغربية الواقعة شمال المغرب الأقصى – عيذاب[3] 656هـ/ 1196-1258م). وهو أحد أعمدة التصوف الإسلامي في جميع العصور، حج وجال في المشرق ثم عاد الى مسقط رأسه.

ويتسم تاريخ ظهور الشاذلية في الجزائر بكثير من الغموض، فنحن لا نجد لها ذكرا قبل ق 9هـ .15م. وتدل القرائن المتوفرة على أنها لم تعرف قبل ذلك في هذا البلد ولا

---

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص ص51-52.

[2] الشابي: العلاقات بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر. في «المجلة التاريخية المغربية». س7، ع17 و 18 يناير 1980، ص ص86 – 88.

[3] الشابي: العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية، م.س، نص على هامش ص 113. وكذلك لوحة «شجرة نسب الشابية»

فيما يجاوره؛ فأسانيد فروع الشاذلية التي تأسست في هذه البلدان فيما بعد لم يرد فيها اسم أي شخص مغاربي عاش قبل ذلك القرن.[1] وكل مشاهير الشاذلية الذين عرفتهم الجزائر مثل أحمد زروق البرنسي الفاسي، وتلميذه أحمد بن يوسف الملياني أصبحت لهم طرائق تعرف بهم ويعرفون بها ؛ فكأن الشاذلية لم تكد تعرف في الجزائر وما يجاورها حتى ظهرت لها فروع حلت محلها وإن بقيت حاملة اسمها كصفة تقدّم أو تؤخر، فيقال مثلا «الشاذلية الزروقية»، أو «الزروقية الشاذلية».

وقد يكون من أسباب ذلك في نظرنا أنها لم تكن مهيكلة ولا منظمة ماديا وبشريا ؛ فالشاذلي لم يؤسس له أية زاوية، واقتدى به في ذلك خليفته أحمد المرسي، ولا نعلم أنه عين له مساعدين لتنظيم الأتباع. وهيكلة الطريقة في نظرنا شرط لازم لاستقرارها وانتشارها واستمرارها.

وقلما يدل حمل الفروع الصفة «الشاذلية» على التمسك بمبادئها، بل كثيرا ما يوجد فرق شاسع بينهما في الطقوس. ومن ذلك **الحضرة والسماع** اللتان شدد الشاذلي في ذمهما واستنكارهما، وهما يمارسان مع ذلك في بعض فروعها ومهما كان حال الشاذلية عند ظهورها في البلدان المغاربية فإنها صارت أماً لأكثر الطرائق التي ظهرت فيها، ومنها الزروقية. وما لبث أن انتقل الى مصر استقر بمدينة الاسكندرية الى أن توفى بصعيد مصر بتاريخ (656هـ-1258م).

---

[1] نجد في بعض الأسانيد المشار إليها شخصا اسمه «أبو عبد الله المغربي»، أو «عبد الله المغربي» في بعض المظان، والأول هو الصحيح. وهو في بعضها من مريدي ابن عطاء الله الإسكندري المتوفى سنة 709هـ/ 1310م. ويجعله بعضهم مريدا للشاذلي انظر حجي (محمد) الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. المكتبة الوطنية بالرباط . 1384/1964، 50-51.

الرحمـــانيـــة:

هي فرع جزائري للطريقة الخلوتية، أسسه امحمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم القشتولي الأزهري آيت إسماعيل 1126- نفسه 1208هـ / 1714-1794م) المعروف لدى العامة بسيدي امحمد بوقبرين. درس في مسقط رأسه آيت إسماعيل (و. تيزي وزو)، ثم حج واستقر في القاهرة لمتابعة دراسته في الأزهر، ولذلك لقب بالأزهري. وكان شيخ الخلوتية بمصر آنذاك هــو محمــد بــن ســـالم الحفناوي[1] (1181هـ/ 1767م) ، فأخذ عنه طريقته الخلوتية التي اختلفت المظان كثيرا في شخص مؤسسها، كما اختلفت في صيغ بعض الأسماء الواردة في سندها، وفي عدد حلقات هذا السند. ولكن اتفق على أنها متفرعة عن السُّهْرَوَرْدِيّة المنسوب إلى كل من أبي النجيب عبـــد القاهر بن عبد الله السهروردي (563هــ / (1168م) وابن أخيه أبي حفص عمر بن محمد السهروردي (632هــ (1234م صاحب كتاب «عوارف المعارف».[2]

وارتحل الأزهري بعد ذلك إلى الهند والسودان لنشر الخلوتية هنالك، ثم عاد إلى القاهرة، ثم عاد إلى موطنه سنة 1183هــ / 1769م[3] ، وعمل على نشر طبعته الخاصة من الخلوتيـــة تحـــــت اســـم «الرحمانية»، ولقي إقبالا كبيرا، فانتشرت طريقته انتشارا سريعا فــــي وســـط الجزائـــر وشرقها فـــي عهـــده وعهد الخلفاء الأوائل من بعده،

---

[1] انظر ترجمته عند النبهاني (يوسف) : جامع كرامات الأولياء. ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417/1993، ص ص 282-293.

[2] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، مرجع سابق، ص27.

[3] أسانيد الجنيد واردة في كثير من المراجع، ومنها : ا . ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن علي المعروف بـــ) طبقات الأولياء. حققه وخرجه نور الدين شريبة مكتبة الخانجي، القاهرة . 1393/1973، ص ص 493-495، 503. وفيه السند كاملا ابتداء من المؤلف.؛ ب . الحفناوي: م.س، طبعة بيروت وتونس، ط 2، ص 460 وفيه السند كاملا ابتداء من امحمد بن عبد الرحمن الأزهري.

وتكاثرت زواياهـــا حتى بلغت 177 تبعا لبعض المصادر[1] .. وما لبثت أن فاق أتباعها أتباع غيرها من الطرائق. وكانت لها زوايا في تونس أيضا. وبقي نفوذها مع ذلك محدودا في غرب الجزائر، إذ أن فروعا شاذلية تسيطر بقـــوة علـــى هـــذه المنطقة، ولا يكـــاد غيرهـــا يـــجـــد حـــيـــزا فارغا فيملؤه.

2- الطـــرق الصوفيـــة المحليـــة:

الطريقـــة السنوسيـــة:

أسسها أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي، ولد في الواسطة بضاحية ميئا على ضفاف وادي الشلف بالقرب من مدينة مستغانم (1787–1859) نشأ في بيئة علم ودين وتلقى تعليمه على يد مجموعة من المشايخ منهم محي الدين بن شهلة بن قندوز، ابن شارف المازوني، وجمال الدين الحاج محمد بوارس بن ناصر، ثّم اتجه الى فاس لإتمام حصوله على علوم الحديث، وأخذ في المدينة علم التصوف على يد مجموعة من الشيوخ، وبعد ذلك اتجه الى الحجاز وبالضبط الى مكة المكرمة للإستزادة بالعلوم الشرعية، ثّم قفل راجعا الى بلاد المغرب وبالضبط الى طرابلس الغرب، نزل بمدينة برقة وأقام بمنطقة الجبل الأخضر ليؤسس الزاوية البيضاء التي ستحتضن الطريقة السنوسية، وانتشرت الطريقة السنوسية في البلاد الجزائرية ولها اتباع في عدة مدن جزائرية، ولعبت دورا هاما في الحياة الاجتماعية والسياسية بالجزائر.[2]

---

[1] انظر .Depont (0 -) et Coppolani (x-) : op.cit 213, أما رين Rinn م س، ص 480، فيذكر لها 220 زاوية في إحصاء سنة 1882.

[2] النمشي عجيل جاسم، الحركات الإصلاحية ودورها في يقضة العالم، مجلة الاصالة، مج 5، الجزائر، 1975، ص 276.

الطريقـــة الشيخيـــة:

مؤسسها عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البكري المشهورُ بسيدي الشيخ (ناحية الأبيض سيدي الشيخ، نحو(940 استيتن 1025هـ / 1533-1616م). كان الأسلافه مكانة مرموقة لدى سكان المنطقة وغيرهم؛ فقد بنى مزار على قبر أبيه وضريح علـــى قبـــر جـــده سليمان (-940هـ / 1532م) ، وضريح وقبة علـــى قبـــر جـــده الثاني أبي سماحة"حيث أظهر سيدي الشيخ منذ صغره ميلا إلى الدراسات الدينية وممن تتلمذ عليهم في منطقته الحاج ابن عامر ، وعبد الجبار الفكيگي، وأحمد بن موســـــى الكـــرزازي الذي سبق الكلام على طريقته وتابع دراسته في فگيگ التي تقع حاليا في شرق المغرب الأقصى، وكانت أنذاك مركزا علميا ودينيا هاما، واتصل بعد ذلك بمحمـــد بـــن عبـــد الرحمن السهلي السابق ذكره، فأخذ طريقته الصوفية عنه، عن يوسف الراشدي الملياني أحمد زروق. وقد سجله سيدي الشيخ كاملا في ياقوتته، واستقر سيدي الشيخ أخيرا في حاسي الأبيض وأسس هناك الزاوية الأم لطريقته ولم يلبث أن ذاع صيته، فعين له مقدمين في مدينتي الجزائر وتلمسان ومنطقة التوات في غرب الصحراء. وبلغ نفوذه بعض جهات المغرب الأقصى، فكان له مقدّمون في كيك وفاس و مراكش وازداد أتباعه انتشارا بعد وفاته في غرب الجزائر ووسطها، وفي كل منطقة الهضاب العليا وشمال الصحراء سواء بين السكان المستقرين أم الرّحل. ويوجد أكثرهم عددا في البيض وغرداية وسبدو (و تلمسان). وأسس الأحفاد بعده في الأبيض سيدي الشيخ زاويتين أخريين رئيستين باسم ولديه بوحفص وعبد الحك وتوجد زاوية رابعة في المنيعة (و غرداية)، وكتب سيدي الشيخ مجموعة قليلة من الأذكار والرسائل ومنها رسالة هامة أجاب فيها على أسئلة بعث له بها السلطان السعدي زيدان من المغرب الأقصى، إلا أن قصيدة «الياقوتة في التصوف» تعد أهم آثاره وأشهرها.[1]

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، مرجع سابق، ص ص 38-39.

الطريقـــة التجانيـــة:

أسسها أحمد بن امحمد بن المختار التجاني (1150- 1230هـ / 1737-1815م، عين ماضي) الذي حفظ القرآن الكريم، وحصل علوم الدين والعربية في مسقط رأسه عين ماضي و(الأغواط). وبعد أن بلغ العشرين من عمره مال إلى السياحة فجال في الجزائر، وزار المغرب الأقصى، ثم حج، واتصل في أثناء كل ذلك بمشاهيرالصوفية؛ وأخذ عنهم في المغرب الأقصى القادرية والناصرية، وطريقة أحمد الحبيب ولما كان في طريق الحج أخذ الرحمانية بالجزائر عن شيخها امحمد بن عبد الرحمن الأزهري، ثم أخذ الخلوتية في مصر عن شيخها محمود الكردي (1781م-1195ه)، ولما عاد إلى الجزائر أقام مدة في بو سمغون (ولاية البيض)، فيحكي عنه أنه قال إنه شاهد النبي يقظة لا مناما، وأنه هو الذي أمره بالانسلاخ من جميع الطرائق التي سبق له أخذها، وأنه لقنه يومذاك جزءا من ورد الطريقة التجانية، ورُوي أنه لقنه تمامه في المكان نفسه بعد مضي خمس سنوات.

وكانت السلطة غير راضية عن تحركات التجاني، فاضطر إلى الهجرة إلى فاس سنة 1213هـ/ 1798م. وأسس في هذه المدينة زاوية صارت مماثلة في مكانتها للزاوية الأم التي كان قد أسسها في عين ماضي، فأمتد بذلك نفوذ التجانية بقوة إلى المغرب الأقصى، ثم ازداد صيتها، فبنيت لها الزوايا في بلدان أخرى كتونس والسنغال والنيجر، أما في الجزائر فإنها انتشرت بصفة خاصة لدى سكان الشرق والوسط، وبلغ عد زواياها 17 منها 12 في الشرق. وأخفقت التجانية في اكتساب أتباع كثير في الغرب لسيطرة نفوذ الفروع الشاذلية.[1]

---

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، مرجع سابق، ص ص 47-48.

المبحث الثالث :العلاقة بين الزوايا والسلطة العثمانية.

المطلب الأول: مفهوم الزاوية:

زعم دوزي في معجمه ما يوحي بأن الزاوية ذات علاقة اشتقاقية باليونانية؛ فهي تسمى في هذه اللغة «زفيتاء بمعنى حجيرة أو حجرة فالعرب حين أخذوا عن اليونان حياة التزهد أطلقوا على مثالهم اسم الزاوية على الحجيرة . والحقيقة أن العرب لم يأخذوا حياة التزهد عن اليونان كما زعم، بل أخذها من تزهد منهم من صميم دينه الحنيف ولا نرغب في تفصيل هذه المسألة لخروجها عن نطاق بحثنا. أما إشارته إلى العلاقة الاشتقاقية للزاوية باليونانية فهو مردود بأن العرب لم يعرفوا الزهد إلا بعد ظهور الإسلام في حين أن لفظ الزاوية وما اشتقت منه كان موجودا قبل ذلك في لغة العرب.[1]

الزاوية لغة: يقال لغة زَوَيْتُ الشيء: قبضته. ومثله رؤى الرجل بين عينيه وفي الحديث: زوي لي الأرض مشارقها ومغاربها». وجاء في دعاء السفر: «اللهم أزو لنا الأرض» الزي الطي والجمع)[2] .. وزوى الشيء يزويه زيا وزويا نحّاه فانزوى.

الزاوية اصطلاحا:

لم نتمكن من التعرف على الظروف الزمانية ولا المكانية التي صارت فيها الزاوية تطلق على المؤسسات الصوفية، ونظن مع ذلك أن ارتباطها بالزهد والتصوف لم يحدث أول مرة إلا في 5هـ/ 11م ونستند في زعمنا هذا إلى ما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع في التراجم والتصوف وغيرهما، فأهل ق4هـ / 10م ومن قبلهم من صوفية وغيرهم، لا يوجد في ثنايا تراجمهم أي ذكر لكلمة زاوية بالمفهوم الصوفي، وإنما بدأ ذكرها بهذا المفهوم يقترن بتراجم بعض الأشخاص الذين عاشوا في ق5هـ/ 11م

---

[1] دوزي: م س، والحجيرة تصغير للحجرة، وهي الموضع المنفرد، انظر ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي المشهور بلسان العرب، دار صادر، بيروت، 141هـ،ط3، 168.

[2] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، مرجع سابق، ص 64.

ببلاد العراق والشام). ثم أخذ يزداد استعمالا وانتشارا منذ ق 6هـ / 12م، وتجاوز بلاد العراق والشام إلى غيرهما تدريجيا حتى وصل إلى البلدان المغاربية، وقل فيها استعمال لفظ الرباط بعد ذلك، ولم يعد له ذكر بعد تحرير وهران من الاحتلال الإسباني في مطلع ق 13هـ / نهاية 18م، وصار لفظ الزاوية في الجزائر علما على جميع المؤسسات الصوفية صغيرها وجليلها. ولكنه أُطلق إلى جانب ذلك على كثير من المؤسسات التعليمية. أي أن الزوايا صنفان رئيسان: تعليمية وصوفية ونقصد بالزوايا التعليمية تلك التي يقتصر ناشطها عن التعليم، فهي من الناحية الوظيفية لا فرق بينها وبين المدرسة، أما الزوايا الصوفية فنشاطها متنوع شامل للتعليم وغيره.[1]

كما تُعرف على انها عبارة عن مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرآني والديني ومأوى لطلبة داخليين يعيشون في تلك الزاوية بلا مقابل أما بناؤها فيختلف عادة عن بناء المسجد و المدرسة ، فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد و المنزل، و هي في الجملة قصيرة الحيطان، منخفضة القباب والعرصات، قليلة النوافذ، وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة، فالزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة، بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة و العتمة وقد كانت بعض الزوايا متخصصة في استقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها، فزاوية مولاي حسن بالعاصمة كانت عبارة عن دار سكنى للعزاب، وكانت زاوية سيدي أبي عتيقة تستقبل الفقراء و المرضى والعجزة، وكانت زاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء .. إلخ[2].

ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى أبعد من ذلك في تعريفه للزوايا عندما يقول أن الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية و مراكز ثقافية و نواد اجتماعية و خلايا سياسية يتعلم

---

[1] عبد الحكيم مرتاض، الطرق الوصفية، مرجع سابق، ص 66.

[2] التليتلي العلجي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، جامعة المنوبة، جامعة تونس1، تونس،1992، ص34.

الناس فيها مبادئ دينهم و تعاليم شريعتهم و فيهـــا يتلقـــون مختلف العلوم و المعارف و يقيمون العلاقات الاجتماعية و العسكرة و السياسية.[1]

المطلـــب الثانـــي: طبيعـــة العلاقـــة بين الزوايـــا والسلطـــة:

انتشرت الزوايا في تلك الفترة في مدينة الجزائر مثلا، فبالإضافة إلى زاوية و ضريح عبد الرحمان الثعالبي و زاوية ولي داده، و زاوية عبد القادر الجيلاني ، هناك قائمة طويلة أخرى نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف و زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، و سيدي الجودي، و سيدي جمعة و سيدي الكتاني ..الخ . و في مدينة قسنطينة و نواحيها قائمة طويلة أخرى بلغت حسب بعض الإحصاءات ست عشرة زاوية، فهناك زوايا و خلوات سيدي الكتاني و سيدي المناطقي و غيرها، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها و كانت هناك زوايا خاصة بالأتراك و الكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة، و في نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي و قد اشتهرت أيضا تلمسان و نواحيها بزواياها و أضرحتها و مشاهدها نذكر منها زاوية سيدي الطيب، و زاوية سيدي بومدين و زاوية محمد السنوسي، و زاوية أحمد الغماري و ضريح سيدي الحلوي الأندلسي .. ، و تعتبر منطقة زواوة و بجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية، نذكر منها زاوية تيزي راشد، و زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية و زاوية الأزهري بآيت إسماعيل، و زاوية ابن على الشريف بآقبو و كذلك سيدي منصور بآيت جناد و غيرها .. و هي كلها زويا اشتهرت بنشر التعليم و تخريج أجيال من المتعلمين.[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغري الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1998، ص 18.

[2] رشيدة شدري معمر، الزوايا ودورها الديني والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني The religious and cultural role of zawaya in Algeria during the Ottoman period، جامعة البويرة، الجزائر، مج 42، ع 24، 2020، ص 274.

تميزت العلاقات بالانسجام و التعاون عموما بين السلطة الحاكمة و المتصوفة – فقد ادرك العثمانيون منذ اتصالهم للوهلة الأولى بالقوى المحلية الممثلة في الشيوخ القبائل والطرق الصوفية أن نجاحهم في البلاد يتركز على مدى نجاحهم في التعامل مع تلك القوى و الحصول على الدعم منها فكانت لهم سياستهم في استمالتها حيث اعتمدوا على عدة وسائل و أساليب أهمها تخصيصهم بامتيازات مهمة مادية و معنوية.

سعى العثمانيون للحصول على تأييد و مساندة شيوخ الزوايا والطرق الصوفية وذلك نظرا لما كانوا يتمتعون به من نفوذ فلم يتردد الحكام في منح الامتيازات لهم و منحهم الإقطاعات و الهدايا, و إصدار الفرمانات كما كان بعض الحكام يكثرون من زيارة هؤلاء الشيوخ في خلواتهم، و في مساجدهم و يترجونهم بالدعاء لهم، و يحرصون على التقرب منهم من خلال الإغداق عليهم بمختلف العطايا و الهدايا و الامتيازات (التيارات الدينية...) كما كان يتم تعيينهم ايضا كرؤساء على الأعراش و القبائل لكي ينتفعوا بعطاياهم و زكواتهم، كما عمل الحكام على استرضائهم بطلب المغفرة إذا ما تعرض هؤلاء للمهانة وتبادلوا معهم الرسائل، وتبركوا بهم، و أسقطوا عنهم الجباية و نظام السخرة.[1]

وفي مقابل هذه الامتيازات كان هؤلاء الشيوخ يحرصون على تقديم خدمات لهذه السلطة و يقومون بدور المدافع عن مصالحها في مناطق نفوذهم، و كان لبعضهم مهام أخرى تتمثل في إيصال جرايات الجند المقيمين في الحاميات العسكرية و كمثال على ذلك كان الشيخ المقراني مقدم الطريقة الرحمانية في منطقة القبائل الصغرى في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي مكلفا بنقل مرتبات الجنود من قسنطينة إلى مدينة جيجل.

[1] صباح بهارسية، التصوف حركة في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006 ، ص 68.

كما كان رجال الصوفية يلعبون دور الوساطة حيث لعب ذلك أمرا حتميا بفعل منطق التفوق الاجتماعي والسياسي للحركة الصوفية كما لايمكن للمجتمع الذي يخشاه تأثير العادات الصوفية ولا الحكم الفاقد لقوته قليلا تناسي الوصاية الصوفية على المجتمع[1]

[1] صباح بهارسية، التصوف حركة في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، مرجع سابق، ص ص 68 – 69.

الفصل الثالث: دور الفكر الصوفي

في الجزائر وتأثيره على المجتمع

المبحث الأول : نشاط الزوايا ودورها في المجتمع

المبحث الثاني : مؤسسات التصوف في الجزائر

المبحث الثالث : تأثير الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري

مدخـــل:

لعب الفكر الصوفي دورًا محوريًا في تشكيل معالم المجتمع الجزائري، لاسيما خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وهي الفترة التي تزامنت مع بداية العهد العثماني في البلاد. فقد تجاوز التصوف في تلك المرحلة كونه مجرد ممارسة روحية فردية، ليغدو عنصرًا فاعلًا في مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية. فقد ساهم في ترسيخ منظومة القيم الأخلاقية، ونشر ثقافة التضامن والتكافل، كما وفّر إطارًا روحيًا حافظ على تماسك المجتمع، خاصة في الفترات التي شهدت اضطرابات وأزمات.

وقد أدت الزوايا الصوفية خلال هذه الحقبة وظائف متعددة، فكانت مؤسسات دينية وتعليمية ذات تأثير واسع، حيث أشرفت على تعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وقدمت الإرشاد الديني، كما اضطلعت بدور في حل النزاعات المحلية عبر القضاء العرفي، إلى جانب تقديم المساعدات الاجتماعية للفئات المحتاجة.

وبذلك، فإن التصوف لم يكن مجرد تيار ديني، بل كان مدرسة متكاملة أثّرت بعمق في الهوية الجزائرية، وأسهمت في صون الذات الثقافية والروحية في وجه محاولات الطمس والاستلاب، ولا تزال آثاره ماثلة إلى اليوم في الممارسات الاجتماعية وفي الوجدان الجمعي للمجتمع الجزائري.

وهذا ما سوف نتطرق اليه في هذا الفصل من خلال عرض نشاط الزوايـــا وكذا دورهـــا في المجتمـــع الجزائري إضافة الى ذكر مؤسســـات التصـــوف فـــي الجزائـــر خلال تلك الفترة وختاما إظهار تأثيـــر الفكـــر الصـــوفي على المجتمـــع الجزائـــري.

المبحـــث الأول : نشـــاط الزوايـــا ودورها في المجتمع.

احتلت الزاوية في العهد العثماني خاصة بالارياف، الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم يعود هذا الأمر الى غياب المؤسسات الثقافية الأخرى هو ما مسح لها بالقيام بأدوار تعليمية إضافة الى وظيفتها الدينية، فمثلت الزاوية بالريف المسجد و المدرسة في آن واحد و سنتطرق لأهم الأدوار التي قامت بها الزوايا خلال تلك الفترة:

المطلـــب الأول: الـــزوايـــا في الجزائـــر خلال العهد العثماني: مكانـــة وأدوار.

1- الـــدور الدينـــي والتعليمـــي:

عملت الزوايا في العهد العثماني على أن تأخذ على عاتقها تعليم الناس ونشر الوعي الديني بينهم، وسد حاجة السكان في تعليم أبنائهم في ظل غياب السلطة، التي لم تهتم بالتعليم والتوجيه خاصة في الريف، لأن سياستها مع الأهالي كانت سلبية ارتكزت على جباية الضرائب فقط، فحسب "الفيلالي" فإدارتها كانت إدارة استهلاك لا إدارة إنتاج"، لهذا عمل القائمون على الزوايا خاصة المرابطين على ملء الفراغ السياسي والثقافي في المجتمع الذي عاش في عزلة عن الحكومة التركية، بالرغم من ثقل كاهل سكان الأرياف بالهدايا والعطايا المقدمة للمرابطين إلا أنهم كانوا بمثابة البديل لهم عن العثمانيين في التعليم والتوجيه.[1]

لقد كانت هذه الزوايا مقصدا للعديد من الطلبة، فزاوية سيدي التوالي ببجاية كان يدرس بها نحو 200 طالب، وهي تعد مركزا لتخريج القضاة والعلماء لكامل البلاد، في حين زاوية جماعة السحاريج ببلاد القبائل والتي لازالت قائمة إلى يومنا هذا، كان يدرس بها 500 طالب وتقوم بالإنفاق عليهم كلهم، وزاوية نقاوس فهي تنفق على 200 طالب،

[1] مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الغرفيكس، الجزائر، 1976، ص 30.

أما زاوية سيدي منصور فقد كان يقصدها من 100 إلى 150 طالب في حين زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، والتي تميزت بمستوى تعليمي عالي كان يدرس بها 125 طالبا ويدرس بها 25 مدرسا[1] أما زاوية أسرة المحاجي (أبهلول) بتنس كان يقيم بها نحو 300 طالب ويدرسون مختلف العلوم الدينية من فقه وحديث تفسير وعلوم اللغة.[2]

والملاحظ أيضًا أنّ الزوايا المشهورة خاصة ذات التعليم العالي، والتي كانت تستقبل الطلبة لاستكمال دراستهم العليا، كان يقصدها الطلبة حتى من تونس، طرابلس مصر، المغرب مقابل 4 بوجو ونصف طول فترة مكوثهم بها. فزاوية سيدي محمد ابن أبهلول المحامي بتنس كانت تستقطب الطلبة الراغبين في المزيد من المعارف حتى من خارج مجالها الجغرافي، مثل سعيد قدورة الذي ارتحل من مدينة الجزائر للدراسة بها وكما أنها كانت مقصدا للطلبة من مصر وتونس وهو ما جعل "رين"[3] يشبهها بجامعات أوربا في العصور الوسطى، فهذه الزوايا كانت الإطار العام للحياة الثقافية بالريف حيث فتحت أبواب العلم والمعرفة للطلبة وأنفقت عليهم بسخاء: وهذا بعد تحول زوايا المرابطين الجهادية (الأربقلة) إلى مراكز للتعليم، فكانت المباني جاهزة ولم تتطلب حركة التعليم إلا جلب الطلبة إليها فقط، وأن تقدم لهم تعليمًا في العلوم الدينية واللغوية وتحفيظ القرآن والحساب، لذلك كان التعليم الابتدائي خاصية منتشرة في كل دوار أو قرية وفي هذه الزوايا كان الطالب يستفيد من المبيت طوال فترة دراسته، فمثلاً مدينة الجزائر كان كان بها 06 زوايا، منها 05 مخصصة لإقامة الطلبة الوافدون وواحدة للطلبة المقيمين بالمدينة، أما بقسنطينة فقد وفرت زواياها زواياها 16 المبيت للطلبة الذين كان من سكان الأقاليم البعيدة.

---

[1] SALHI (M. B), "Confréries religieuses et champs religieux en grande Kabylie au milieu du XXème Siècle, La Rahmanyya", in **Annuaire de l'Afrique du Nord,** N°33, 1994, p258.

[2] عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص 342.

[3] Rinn Louis, Marabouts et Khouans, 2tude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p18.

فبفضل مؤسسة الزوايا، سواء بالريف أو المدينة انتشرت المعارف والثقافة الدينية مما حد من انتشار الأمية، كما ساهمت في تخريج عدد من الكتاب والفقهاء الذين تولوا المناصب الدينية والعلمية كما أن أغلب علماء الجزائر في العهد العثماني تخرجوا من الزوايا مثل سعيد قدورة، أبوراس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن على السنوسي .... فالزوايا وخاصة زوايا المرابطين ومنذ القرن 16م حتى القرن ،18م كانت أداة لتعميق الشعور الإسلامي في المناطق الجبلية، التي ظلت بعيدة عن تأثير الفقهاء وفتاويهم، فقد كانت الملجأ المعنوي والروحى والمؤطر الأساسي للسكان، وعامل لنشر المعارف وغرس تعاليم الدين وتعميق الحس الديني في المجتمع الريفي أين عمل مرابطوها على ادخال القبائل للاسلام وتعليمهم مكارم الاخلاق.[1]

أما زوايا الطرق الصوفية كالقادرية، والرحمانية فقد أعطت أهمية كبيرة لنشر التعليم، فهذه الأخيرة ربطت بين التربية الروحية والتعليمية، لهاذا نجد كل شيوخها من العلماء، فهي تدرس العلوم الشرعية إضافة إلى تعاليم الطريقة، وقد تخرج على يد مؤسسها محمد بن عبد الرحمن الكثير العلماء.[2]

فزوايا هذه الطرق، وإضافة إلى التعليم عملت على تزويد المريدين أو الإخوان بالشعائر الدينية والأوراد التي تمكنهم من الارتقاء إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وكغيرها من زوايا المرابطين عملت على ربط المعارف بالتربية الروحية، حيث يكسب الطالب الصبر وقهر الغرائز والترفع عن الماديات، واحترام الناس والتضحية في سبيل الجماعة، وتهذيب سلوكهم وتربيتهم على احترام الوقت والمواعيد وأداء الفرائض، وتقديم الخدمات داخل الزاوية خارج أوقات الدراسة. وحسب كوثراني: «أن بعض الطرق الصوفية المرتبطة بالأوساط التجارية كانت القوة الدافعة للتطور الثقافي داخل حلمات المساجد

[1] Gsel S. Marçais. G et G. Yver, Histoire d'Algérie, Bovin, Paris, 1927, p 175.
[2] Rinn, op.cit, p 461.

وخارجها...». وأن وجود شبكات من الطرق الصوفية غير المراكز التجارية في العالم الإسلامي سهل من التبادل الفكري وتطوره، وتحفيظ القرآن ونشر الإسلام وترسيخه بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وحتى في المناطق النائية، بين الجماعات البربرية، وتقريب عناصرها مُشكلة وحدة متكاملة. وبالإضافة إلى هذا كانت زوايا هذه الطرق مخازن للكتب والمخططات في مختلف العلوم، وهذا راجع إلى اهتمام شيوخها وطلابها بالتعلم، والنسخ والنقل للكتب والجمع و الشراء، رغم أن الكثير منها ضاع أو سرب إلى أوربا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.[1]

2- الـــدور السيـــاســـي:

يلاحظ الراصد لتاريخ الإسلامي تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية وأمنية، ساهمت في بلورة الفكر السياسي لدى الزوايا، فالمجتمع المسلم عمل على إنتاج الروافد المغذية لدور الزوايا السياسي وذلك بعد انتشار النزعة الانعزالية الصوفية في المجتمعات المسلمة، جراء الطغيان المادي البادي في قصور ودور الأغنياء والأمراء والسلاطين، ومن ثم جاءت العزلة الصوفية لتغذية الذات بمقومات تمنحها القوة في مواجهة عناصر الاستيلاب الغازية للشخصية الإسلامية، حيث يعد الحاكم نفسه مجبر على احترام شيوخ الزوايا والمرابطين الذين ساهموا في دفع الخطر وتجنيد الناس، فالبطولة والشجاعة والصلاح عوامل سنت في ذهن العامة فكيف إذا اجتمعت معها الخدمات الأخرى للزوايا.[2]

وبهذا فإن الزوايا أخذت من الحاكم وظيفة السياسية بقدر ما نابت عنه في خدمة الرعية، لأن السياسة ممارسة والسلوك لذا فإن العملية السياسية للزوايا جاءت كردة فعل

---

[1] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ج1، 2001، ص 223.

[2] سفيان بوعنينة، الزوايا النشأة والتطور، مجلة الباحث للدراسات الإنسانية، مج14، ع2، جامعة 20 أوت بسكيكدة، 2020، ص 165.

على الخلل الحاصل في السلطة القائمة إذ كلما كانت السلطة غير قادرة على ان تمثل مطالب الكتلة البشرية، ويظهر هذا جليا في المكانة السياسية التي تتبوؤها الزوايا في أواخر العهد العثماني نتيجة الضعف الحكومي في كثيرمن المجالات السياسية التي قامت بها الزوايا.[1]

3- الـــدور الاجتمـــاعـــي:

سعت الزوايا إلى الاندماج الاجتماعي والحرص على التلاقـــي والتعـــارف بين الأفراد والمجتمع حيث حافظت على سلامة النسيج الاجتماعي وتماسكه، كما كانت همزة وصل بين البدو والحضر، الريف والمدينة، وكما كانت مأوى للفقراء والغرباء ومركزا استشفائي للمرضى، ومن بين هذه الزوايا في الجزائر العثمانية زاوية الأندلسيين، زاوية سيدي علي بن مبارك بالقليعة، والتي كانت مركزا لإيواء الطلبة وعابري السبيل فوظيفة الإيواء والإطعام قد ارتبطت بشكل وثيق بوظيفة التدريس والتعليم حيث كان من الضروري توفير الشروط اللازمة من مبيت ومأكل ومشرب بالنسبة لطلبة العلم والتدريس الذين كان يتم استقدامهم من خارج المنطقة كما أن وظيفة الإطعام والإيواء تزيد أهميتها في فترات المجاعة والقحط والأوبئة التي كانت تصيب من حين إلى آخر المنطقة.[2]

كما كانت محل لفك النزاعات و نشر مبادئ الدين الإسلامي من رحمة وتسامح وجراء هذا خصصت لها اوقاف كثيرة لخدمتها، كما كان جراء هذا تأثير روحي كبير للزوايا على مختلف فئات المجتمع وجعلهم أصحاب كلمة مسموعة.[3]

---

[1] سفيان بوعنينة، مرجع سابق، ص 166.

[2] الطيب لعماري، الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر، التحول من الديني الى الدنيوي ومن القدسي الى السياسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 15، جامعة بسكرة، 2014،ص 131.

[3] أمالي سعدالي، وافية نفطي، دور الطرق الصوفية في دعم الحكم العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16-18م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 7،ع 1، جامعة المسيلة،2023، ص 317.

4- الـــدور الاقتصـــادي:

كانت زوايا المتصوفة بمكانتها الروحية والاجتماعية تؤمن حتى الأسواق الشعبية، إذ أن أغلبها كان يُقام بالقرب من الزوايا حتى يتخذونها حرما لهم لحماية وتأمين التبادل التجاري هناك، ومن هذه الأسواق انتشر الكثير، كما يؤمن الشيوخ المتصوفة المسالك التجارية المؤدية للأسواق موفرة بذلك جـــوا مناسبا لتبادل السلع ومساهمة بهذا في نشـــاط التجارة والذي يؤدي إلى استقـــرار الوضع الاقتصادي، علاوة على هذا فقد تداخل الدور الاجتماعي والاقتصادي للزاوية حيث إن كل مداخيلها من صدقات، زكاة، عشور، هدايا وأوقاف سواء كانت نقدية أو عينية والتي تزايد عددها بشكل كبير في أواخر القرن 18 دلالة على أهمية مؤسسة الزاوية، وقد كانت في مجملها موجهة للفقراء والمساكين، وحتى لجميع السكان أيام المجاعات والجفاف وبالتالي تصبح الزاوية مخزن احتياطي آمن للسكان تساهم به بلا شك في القضاء على الفقر وتسد به الحاجيات المحلية وتضمن إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين مختلف فئات المجتمع.[1]

5- الـــدور الثقـــافـــي:

يمكن القول أن الزوايا لعبت دورا كبيرا في حفظ التراث، فلقد عودت طلبتها على العفة والكرامة، وهذا يتجلى من خلال منهجها التربوي والتعليمي، فبالرغم من كثرة الزوايا وتعددها كانت تسير على وتيرة واحدة، كما ارتكز التعليم فيها على العلوم الشرعية وبعض العلوم الأخرى، والتي كانت توكل مهمة التدريس لشيخها أو طلبة لهم الكفاءة.فلقد كانت الزوايا تحتل مكان الصدارة من مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء

[1] أمالي سعدالي، وافية نفطي، مرجع سابق، ص ص 318-319.

وأبناء الشعب المتعطش للعلم والمعرفة، كان للزوايا دور إيجابي في الحياة الثقافية فقد كانت جدرانها مخازن للكتب التي كان يتنافس بعض المشايخ في اقتنائها وجمعها.[1]

6- الـــدور الجهـــادي و الثـــوري :

كان للتهديدات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية، وضعف سلطة الحكام المحليين على مواجهة ورد هذه الاعتداءات، بل والتعاون مع العدو ضد مصلحة أبناء البلد مثلما وقع مع الزيانيين تأثير كبير في نشأة علاقة كبيرة بين الطرق الصوفية (الزوايا) والعثمانيين .

وجدير بالذكر – حسب تنويه الأستاذ سعد الله– أن الحركة الصوفية في الجزائر كانت موجودة وشائعة حتى قبل الوجود العثماني في الجزائر، غير أن فترتهم وحكمهم هو الذي شاع فيه التصوف بشكل ملفت للانتباه . و بهذا يمكن القول بأن الزاوية لعبت دورا جهاديا، ففي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء، فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية و ينصرون المجاهدين و يطعمونهم في زواياهم و يتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين و حماية البلاد، و قد لعبت الرباطات دورا كبيرا في فتح وهران الأول سنة (1119هـــ) والثاني سنة (1205هـــ)، ولكن الدوافع الجهادية بدأت تضعف بالتدريج بعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم ، فعاد المرابطون إلى قواعدهم، و لكن بعض الزوايا قد أصبحت مراكز لتدريب الأتباع على الثورة ضد السلطة ولا سيما في أواخر هذا العهد، فقد ثار يحي الأوراسي والزبوشي، وثار الدرقاويان ابن الشريف وابن الأحرش، و

[1] عبد العزيز الشهبي، الزوايا والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 73.

تمردت الزاوية القادرية والرحمانية ، كما تمردت الزاوية التجانية في عين ماضي و نواحيها.[1]

المطلـــب الثانـــي: بعض التأثيـــرات السلبيـــة للـــزوايا :

أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ و انتشار الزوايا و الأضرحة إلى نتيجتين خطيرتين أولاهما تبسيط المعرفة و ثانيتهما غلق باب الاجتهاد، مما ساهم في جمود الفكر وانحسار روح التجديد. فقد أصبح بعض الأتباع يسلّمون تسليمًا مطلقًا بأقوال شيوخهم، معتبرينهم مصدرًا للمعرفة والحقيقة، دون الرجوع إلى النصوص الأصلية أو النقاش العلمي. كما أدى هذا التعظيم المفرط إلى تقديس الأشخاص أكثر من الأفكار، وابتعاد الكثير من الزوايا عن دورها الإصلاحي الأصلي، لينحصر نشاطها في الطقوس والشعائر. هذا المناخ العقلي المغلق ساعد، من جهة أخرى، على سيطرة الخرافة وتراجع دور العقل، في وقت كانت فيه المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسّة إلى أدوات الفهم النقدي ومناهج الاجتهاد لمواجهة تحديات العصر، ذلك أن نقل التعليم إلى الزوايا قد أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه بطريقة جافة ريفية ضيقة، وأصبحت الزاوية بذلك تنافس المدرسة و الجامع في نشر التعليم و في كسب الأنصار، وبدل أن يلتف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتقون في زاوية حول شيخ أو مقدم تغلب على عقله الخرافة و على أحواله الزهد، و هكذا تدهور مستوى التعليم.[2]

المبحـــث الثانـــي : مؤسســـات التصـــوف في الجزائـــر.

كـــان لإنتشار التصوف في الجزائر بروز رجال الدين خلال العهد العثماني دور هام في إبراز مميزات هذا العهد، حيث ظهرت مؤسســـات مختلفة ومتنوعة كل واحدة

---

[1] [1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 252.

[2] محمد المبارك، الحياة الفكرية في العالم الإسلامي خلال العصر العثماني، دار الفكر، دمشق، 1972، ص. 113–115.

فيها تكون تابعة لرجل ما من رجال الدين وتسمى على اسمه، ويتوارثها من بعد وفاته أبناءه ، وقد تنوعت أسمائها إلا أن هذه المؤسسة كانت لها وظائف متعددة ومتشابهة في الغالب فكانت تدعى المؤسسات الثقافية في العهد العثماني وابرز هذه المؤسسات نجـــد:

المطلـــب الأول : الوقـــف:

يعتبر الوقف أو الحبس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم الأصلية، إذ يندرج ضمن الصدقات الجارية بإجماع الفقراء والفقهاء والعلماء المسلمين ، فهو يعبر عن إرادة الخير، والتضامن عند الإنسان المسلم، وقد انتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبرحواضرها وأريافها وشمل الأملاك العقارية، الأراضي الزراعية، البساتين، الحدائق الدكاكين، أفران الخبز الفنادق العيون، السواقي وغير ذلك وقد كان للوقف وتطوره أثر كبير في نشوء وتطور التصوف وطرقه في الجزائر، وله الفضل الأكبر في مساعدته على البناء والاهتمام بباقي مؤسسات التصوف في ذلك العهد، ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة، فالقاضي عادة هوالذي يقوم بكتابته بصيغة معينة وبحضور الواقف والشهود، مع تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه وكيفية الاستفادة منه، وانتقاله وعوامل نموه وتخصيص المشرفين عليه وشروطهم، مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الشهود والقاضي، وبهذا يكون للوقف وثيقة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون، وكذلك السلطة، كما أن للوقف نظام داخلي دقيق فالوكيل او الناظر هو المشرف الرئيسي عليه وهو الذي يسهر على ما جاء في الوقفية،[1]وتساهم بقسط كبير في خدمة العملية التعليمية والثقافية وتعمق الضمان والتضامن الاجتماعيين، خصوصا أثناء الاضطرابات التي عرفتها إيالة الجزائر.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص ص 227–229.

ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه أيضا العناية بالمساجد والزوايا والأضرحة والعناية بفقراء فئة معينة، مثل فقراء الأندلس وفقراء الأشراف أو بطلبة خصوصيين كالشباب الأتراك وبفقراء مدينها بعينها كفقراء مكة والمدينة ، ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية إدارة سبل الخيرات، الحنفية، وكانت مؤسسة شبه رسمية، فهي التي كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس وموظفين وفقراء.

وتعتبر أوقاف الجامع الكبير وبعض الزوايا بالعاصمة، وأوقاف الجامع الكبير بقسنطينة ومعسكر وتلمسان، والمدينة من المؤسسات الثقافية في المجتمع الجزائري، وهي بذلك كانت وسائل للنفوذ والإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء.[1]

المطلـــب الثانـــي : المســـاجـــد:

الجامع والمسجد والزاوية كان التداخل فيما بينهما من حيث التمسية، وهذا لأن المتصوفين أو علماء التصوف كانوا في بادئ الأمر يعتمدون على الزوايا في القيام بمختلف أعلامهم، لكن فيما بعد أخذ كل شيخ او عالم من علماء التصوف بيني مسجداً تابعا لزاوية التي تسمى على اسمه، ولذلك قاموا بتقسيم مهامهم بين المسجد والزاوية ومن هنا أصبح وجود المساجد يلعب دوراً هاماً في نشر التصوف وطرقه، حيث أصبح المتصوفين يعتمدون عليه في إلقاء دروسهم في مختلف العلوم المتعلقة بالحياة الإسلامية ونشر أفكارهم المتصوفة، والتعريف بشؤون الناس، ومعالجة بعض المشاكل. والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع والمساجد كانت تحدد أنواعها وعظمتها بناءاً على مؤسسها، هناك نوع قام ببنانه الحكام والخلفاء والأمراء والولاة، ويعتبر في نظرهم جزءاً

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 237-238.

من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي وكسب عطف الرعية ونجد منها الجامع الكبير بالجزائر، وجامع الباي بقسنطينة وجامع صالح باي بعنابة وغيرها.

أما النوع الثاني، فهو من قام بتأسيسه رجال التصوف وذلك ببنائه وصيانته والوقف عليه بهدف التقرب إلى الله واستمالة الفئات الاجتماعية إليهم، ونشر أفكارهم المتنوعة في الوسط الاجتماعي للمجتمع الجزائري، ونجد من بين هذه المساجد مسجد بومدين بتلمسان .

والنوع الثالث من المساجد، قامت بتشييده المؤسسات الخيرية وهو يعتبر بمثابة عمل مكمل لعمل الولاة، الأغنياء والشيوخ، ويلاحظ الكثير من الباحثين بأن هذه المساجد كانت في معظمها متواضعة.[1]

المطلـــب الثالـــث : الربـــاطـــات:

كانت الرابطات تشبه الزوايا من بعض الجوانب فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع، لكن الرباطات كانت تمتاز بانها قريبة من موقع الأعداء، فكانت تهدف بالدرجة الأولى إلى الدفاع عن السواحل المعرضة دوما إلى الغارات الأجنبية .

ومن هنا كان المسلمون يعدون المرابطة في الثغورواجباً دينياً مقدساً وجهاداً في سبيل الله، يتفرغ فيه المرابط إلى العبادة وإفراغ الذهن من شؤون الدنيا، وكانت تقام في تلك الربط حلقات للذِّكر ، كما كانت مزارًا يؤمّه اليه العلماء والفقهاء، ويجتمعون إلى الطلبة للتعليم والفقه.[2]

---

[1] احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 13-14.

[2] حميدة بن خميسي، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيطة، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 20.

ولقد لعبت الرباطات دوراً كبيراً في فتح وهران الأولى سنة 1119م والثاني في 1205م، واشتهر من علماء الرباطات في الفتح الأول مصطفى الرماضي أبو الحسن العبدلي، كما اشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني محمد بوجلال، الطاهر بن حواء و محمد المصطفى بن رزقة.[1]

المطلـــب الرابع : المـــدارس العلميـــة:

وهي مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليل مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وقد ساهمت هذه المؤسسات في تعميم ونشر أفكار رجال التصوف وبذلك نشر مذهبهم وطرقهم بين الناس، خاصة في المرحلة الأولى من ظهور التصوف أي للتصوف النخبوي، وذلك خلال القرن السادس والسابع والثامن هجري، وهي الفترة التي بقى فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة واقتصارها على طبقة معينة من المتعلمين وعدم انتشاره بين الطبقات الشعبية وبقائه في الحواضر الكبرى مثل بجاية تلمسان ووهران.[2]

ونظرا لتنوع المعارف والعلوم فقد صنفت المدارس العلمية بالجزائر خلال الفترة العثمانية إلى مدارس خاصة بالعلوم الدينية وذلك لاهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفقه والتوحيد وعلوم المنطق، والأصول، ومثال على ذلك مدرسة الخنقة التي تنسب إلى مؤسسها أحمد بن ناصر ومدرسة مازونة التي كانت لها أهمية كبيرة في العرب الجزائري لها نظام وتقاليد استقتها من تلمسان والمغرب الأقصى والأندلس، أنشئت في الفترة العثمانية، واشتهرت بالفقه والحديث والمتخرجين منها أبو راس الناصر، وهناك مدارس خاصة بفروع العلوم الطبيعية والتجريبية، تعلم الفلك و الحساب والطب وعلم الصيدلة في الأعشاب وغيرها ، ومن هذه المدارس مدرسة أبي مروان بعنابة، وسيدي بومدين

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 272.

[2] احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 115.

بتلمسان وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة ومدارس ندرومة ومازونة ، وسيدي لخضر والكتانية بقسنطينة.

كما اهتمت مدارس أخرى في علوم اللغة والآداب كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي، وقواعد الإنشاء، وركزت على هذا النوع من العلوم لكونها تعد أداة ووسيلة أساسية لاستيعاب وإتقان الفهم في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه.[1]

المطلـــب الخامـــس : المكتبـــات:

تعتبر المكتبات مؤسسة ثقافية لكل بلد ، حيث أنه إذ حكمنا على النشاط الثقافي والعلمي لأي عالم من العلماء أو كاتب من الكتاب يكون ذلك عن طريق الكتب التي ألفها ونشرها، وتعتبر المكتبة مؤسسة ثقافية هامة في حياة المتصوفة حيث أنها كانت الوسيلة الوحيدة والمكان الوحيد الذي يمكن فيه للشيخ التصوف أن يبلغ من خلاله رسالته، وذلك عن طريق ما ألفه من كتب ينشر من خلالها أفكاره ومذهبه وعن طريق وضع هذه المؤلفات في المكتبة يكون المتصوفة قد حقق نجاحا كبيرا في إيصال ما يرده لمختلف الفئات الخاصة منهم الطلبة، وتشير المدارس إلى أنه في الجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الكتب عموماً من وراقة وتجليد، ونسخ وخط ونحو ذلك فقد جاء في منشور الهداية أن الطالب محمد النقاوسي كان سمساراً في الكتب بقسنطينة، وفي تلمسان اشتهر علي بن تيجرين بالاشتغال بالوراقة وروى ابن حمادوش عن نفسه أنه كان يشتغل بالكتب بيعاً وتجليداً ونسخاً في مدينة الجزائر.

ويمكن تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة، فالعامة منها هنا هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصاً ثم لتجميع الفقراء المسلمين، وكانت كمية الكتب بخزائن هذه المكتبات، تكثر أو تقل تبعا

[1] احمد مريوش، المرجع السابق، ص 17.

لأهمية الوقف الذي تتغذى منه وتبعا لأهمية الجامع الكبير بالعاصمة، ومكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة، مكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير في المعسكر.

أما المكتبات الخاصة فكثيرة وليس من السهل حصرها، غير أن بعض العائلات قد اشتهرت لطول عهدها بالنفوذ بالمكتبات دون الأخرى، فعائلة الفكون بقسنطينة كانت لها مكتبة ضخمة أصبحت مضرب الأمثال بعد الاحتلال الفرنسي ولأبي راس مكتبة كبيرة حسدها عليه أحد بايات وهران، ومكتبة شيخ العرب ابن صخري.... الخ .[1]

المبحث الثالث : تأثير الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري.

لعب الفكر الصوفي دورًا مركزيًا في تشكيل الهوية الروحية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، خصوصًا خلال العهد العثماني، حيث ازدهرت الزوايا وانتشر الانتماء إلى الطرق الصوفية. لم يكن التصوف مجرد ممارسة دينية، بل تجاوز ذلك ليصبح نمطًا ثقافيًا وأسلوب حياة، أثّر بعمق في القيم، والسلوك، والتنظيم الاجتماعي.

فقد ساهم الفكر الصوفي في ترسيخ قيم مثل الزهد، والتسامح، والتكافل الاجتماعي، مما جعل الزوايا ملاذًا للفقراء وطلبة العلم والمحتاجين. كما أسهم في نشر التعليم الديني، خاصة في المناطق الداخلية التي لم تصلها المدارس الرسمية. وبفضل شخصيات صوفية مؤثرة، تحولت بعض الزوايا إلى مراكز لتعليم الفقه واللغة العربية، ومقاومة الجهل الثقافي والديني.

من جهة أخرى، كان لهذا الفكر دور في تهذيب النفوس وتوجيه السلوك الفردي نحو التواضع ونبذ العنف، وهو ما ساعد على تحقيق توازن مجتمعي في ظل غياب

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص ص 291-296.

مؤسسات الدولة القوية. ومع مرور الوقت، أصبحت الزوايا مرجعيات اجتماعية، تفصل في النزاعات وتشارك في تنظيم الحياة اليومية.

غير أن هذا التأثير لم يكن دائمًا إيجابيًا؛ إذ أن بعض مظاهر التصوف انحرفت عن جوهرها، مثل الاعتقاد المفرط في كرامات الشيوخ، وانتشار البدع والطقوس الغريبة، ما أثّر على بنية التفكير النقدي داخل المجتمع. ومع ذلك، يبقى الفكر الصوفي أحد أهم العناصر التي ساهمت في الحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري وهويته الثقافية والدينية، خاصة في فترات الاحتلال والاضطراب السياسي.[1]

وقد أحســن العثمانيون، خصوصًا في بدايات عهدهم، الاستفادة من هذا التأثير الروحي والاجتماعي، حيث اعتمدوا على شيوخ الزوايا في الوساطة بين الإدارة المركزية والسكان، مقابل منح بعض الامتيازات مثل الإعفاء من الضرائب أو الاعتراف بمكانتهم المحلية. وبهذا، أصبح الفكر الصوفي في القرنين 16 و17 ميلادي أداة توازن بين السلطة المركزية والدين الشعبي، مما أسهم في استقرار البلاد نسبيًا في تلك المرحلة.[2]

ورغم هذه النقائص، يبقى التصوف في القرنين 16 و17م الركيزة الأساسية التي حافظت على تماسك المجتمع الجزائري، وصانت هويته في زمن غابت فيه الدولة المركزية العادلة، وسادت فيه الأزمات. لقد كان الفكر الصوفي حاضنًا للوعي الشعبي، ومصدرًا للشرعية الدينية والاجتماعية، ومؤسسة لا غنى عنها في الحياة اليومية للمجتمع الجزائري في بدايات العصر العثماني.[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص ص 240–246.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص ص 135–140.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع نفسه، ص ص 132–138.

خاتمة

خاتمـــة

في ختـــام هذه الدراســـة التي تناولـــت موضوع الفكـــر الصوفي في الجزائر خاصة خلال القرنين 16 و17 مـــ، يمكن القول إن التصوف مثّل ظاهرة دينية وفكرية مركبة، تجاوزت بعدها الروحي والذوقي، لتتحول إلى مكوّن بنيوي في نسيج المجتمع الجزائري. وقد اتّضح من خلال مختلف فصول الدراسة أن التصوف الجزائري، ورغم تأثره بالمشارب الصوفية الوافدة من المشرق الإسلامي، عرف تطورًا محليًا متميزًا استجاب لخصوصيات الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي للمنطقة.

لقد كشفت الدراسة عن الدور البارز الذي لعبته الطرق الصوفية في ترسيخ القيم الدينية في صفوف عامة الناس، حيث لم تقتصر وظيفتها على البعد الروحي، بل أسهمت أيضًا في نشر التعليم الديني وتكريس الروابط الاجتماعية. كما شكّلت الزوايا منارات علمية وثقافية، احتضنت النخب الدينية، وشاركت في توجيه الحياة اليومية للمجتمع، حتى أصبحت فاعلًا أساسيًا في تشكيل الوعي الجماعي، لا سيما في المناطق الريفية والنائية التي غابت عنها مؤسسات الدولة.

ومن خلال التتبع التاريخـــي لنشاط الطرق الصوفية خلال العهد العثماني، تبين أن هذه الأخيرة كانت أداة فعالة في التوازن بين السلطة والمجتمع، فبينما استفادت منها الدولة العثمانية في تهدئة الأوضاع واستقرار المناطق البعيدة عن مركز الحكم، عملت الزوايا على الحفاظ على نوع من الاستقلالية في تسيير شؤونها الداخلية، مما جعلها أحيانًا محل صراع بين الولاء للسلطة والتمسك بخدمة المجتمع المحلي.

كما أظهرت الدراســـة كيف ساهم الفكر الصوفي، من خلال رموزه ومفاهيمه وتعاليمه، في تشكيل ملامح الخطاب الديني السائد، وتأثيره في المتخيّل الجمعي للمجتمع الجزائري. فقد تمكن هذا الفكر من التكيف مع الأوضاع السياسية المتغيرة، ومنح الأفراد

والمجتمعات نوعًا من الطمأنينة والسكينة الروحية، في زمن كانت فيه التحولات العميقة تهزّ أركان المجتمعات الإسلامية، ومنها المجتمع الجزائري.

إن دراسة التصوف في السياق الجزائري لا يجب أن تُختزل في بعده الديني فقط، بل ينبغي تناوله باعتباره ظاهرة اجتماعية وثقافية لعبت أدوارًا متشابكة في مجالات متعددة، كالتعليم، والسياسة، والاقتصاد، وحتى المقاومة. وقد كان للطرق الصوفية، لا سيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دور فاعل في حفظ التوازن الاجتماعي، وفي تشكيل بنى التضامن الأهلي، فضلًا عن مساهمتها في التصدي للمؤثرات الثقافية الأجنبية.

بناء على ما سبق، تخلص الدراسة إلى أن الفكر الصوفي لم يكن عنصرًا طارئًا أو هامشيًا في التاريخ الجزائري، بل كان عاملًا حيويًا في بناء الشخصية الوطنية، وفي مقاومة محاولات الطمس الثقافي والروحي التي تعرض لها المجتمع. وهو ما يجعل من دراسة التصوف ضرورة علمية لفهم تحولات المجتمع الجزائري في مراحل تاريخية مفصلية، ولفهم علاقة الدين بالحياة العامة في ظل غياب مؤسسات الدولة الحديثة.

ولعل من المفيد في هذا الإطار توسيع دائرة البحث مستقبلًا لتشمل العلاقة بين التصوف والتغيرات الحديثة في بنية المجتمع، ومآلات الفكر الصوفي في ظل صعود التيارات الدينية الأخرى، ومدى احتفاظ الطرق الصوفية بدورها التقليدي في الجزائر المعاصرة.

ملاحق

الملحق (01) رسالة من الشيخ أحمد التيجاني أرسلها لعين ماضي[1]

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا وأعز الناس عندنا جماعة أهل عين ماضى من غير تخصيص . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجانى وبعد نسأل الله عز وجل أن يفيض عليكم بحور الأرزاق والخيرات والبركات وأن يكفيكم شر جميع الخلق وأن يلبسكم رداء العافية والستر يليه إعلامكم عما كتبتم به إلىّ . فأما انتقالى إليكم فإنه قد حان انتقالى من هذه البلدة لكن الأسباب الإلهية

أعجزتنى عن الانتقال إليكم لكونى ثقيل الحمل لايحملنى إلا سبعون بعيرا أو ثمانون بعيرا ولاأجدها فى هذا الوقت لاعندى ولاعندكم والآن صارت الطريق بينى وبينكم مخوفة لا تسلك إلابشدة من كثرة الأعداء. والله غالب على أمره ، وأما ماطلبتم منى بعثه إليكم من البارود والرصاص فلا وجود له فى هذه البلاد أصلا وكان قبل هذا يوجد فى بلاد لجيج والآن بلاد لجيج الطريق بيننا وبينهم مخوفة لاأمان فيها وقد عاجلنى فى هذه الساعة السفر إلى بلاد انقاد لأجل شراء الزرع الذى أنا محتاج إليه ولا أقدر على التخلف عنه حتى ساعة لكثرة مايلزمنى من أكل الطعام وأما أمر الباى معكم فاسمعوا منى نصيحة كاملة يبذلها الوالد المحب لولده إذا كنتم تراعون نصيحتى فسيروا إليه فى بلاده وأعطوه ماتقدرون عليه من المال ولاتقاتلوه فإنه لاخير لكم فى قتاله وأخبركم أنه انكشف لى من سر الغيب ما لم يكن لنا ولا لكم به علم وهو أنه سبحانه وتعالى قد قضى فى حكمه على جميع خلقه من أهل الصحراء بثقل المغرم عقوبة لهم على معاصيهم وعدم توبتهم من ذلك ولكثرة اشتهار الظلم والفواحش فى كل محل وعدم النهى عن ذلك ونفذ حكم الله بذلك ولاسبيل لدفعه فقد غلبنا وغلبكم أمر الله وعجزنا عن دفع بلائه فى خلقه فإن الله له الحكم والتقدير والله غالب على أمره وتنجيزاً لوعده فى كتابه بقوله (من يعمل سوءا يجز به) (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (فلايجزى الذين عملوا السيئات إلاما كانوا يعملون) ولما فى صحيح البخارى عن أم سلمة وزينب بنت جحش رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فقالت زوجته صلى الله عليه وسلم وماذاك يارسول الله . قال فتح من ردم يأجوج ومأجوج قدر هكذا وعقد تسعة بين إبهامه وسبابته فقالت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث فأخبر صلى الله عليه وسلم أن وجود الصالحين فى الخلق لايدفع البلاء عنهم لكثرة الخبث

ثم إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه فقد حدث الأمر من عند الله بما قلته ودليل ذلك أن ذلك الأمر قد عم بلاد الصحراء حاضرها وباديها ولم يسلم منها أحد ولابد أن يعمكم ولا تقدرون على دفعه فلايغرنكم ماجرت به عادتكم من غلبتكم على كل من قاتلكم فى قريتكم فإن تلك العادة قبل أن يحدث عموم هذا البلاء. فلما حدث هذا

[1] أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، 1961، ص 403.

الملحق (02) الزاوية الرحمانية[1]

[1] جريدة الخبر، الزاوية الرحمانية نشاط دائم للذاكرين بعيدا عن الطرقية، متاح على الرابط التالي: https://www.elkhabar.com/s@qchldpar107153، تمت الزيارة يوم 2025/09/14، 11:03Am.

الملحق(03) الزاوية القادرية[1]

[1] قناة الطريقة القادرية لعموم افريقيا، الشيخ الحسن حساني شيخ الطريقة القادرية مع المريدين بالزاوية القادرية، متاح على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=djLmqH0P_xI، تمت الزيارة يوم 2025/09/14، Am11:14.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصـــادر والمراجـــع:

1. القــرآن الكريـــم، **سورة النحل**، الآية 80 رواية ورش.

أولا : قائمة المصادر:

2. ابن الجوزي، **تلبيـــس إبليـــس**، دار العلم، بيروت، ط1، 1403هـــ.

3. السراج الطوسي، **اللمع في التصـــوف**، تحقيق: رينولد نيكلسون، مطبعة بريل، 1914.

4. عبد الوهاب الشعراني، **الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية**، دار صادر، بيروت، 1999.

5. الغزالي، **روضـــة الطالبين وعمدة السالكين**، دار السعادة – مصر، د.ط، 1924.

6. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **الرسالـــة القشيريـــة**، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

7. محمد حسين الذهبي، التفسيـــر والمفســـرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2000.

ثانيا: قائمـــة المراجع:

أ- الكتـــب:

8. ابن تيمية، ابن تيمية وموقفـــه مـــن أهـــم الفـــرق والديانـــات في عصـــره، محمد عربي، عالم الكتب، ط1، 1987.

9. ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تقديم: محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة، د.ت

10. ابن خلدون، المقدمـــة، دار العلم، ط5، 1984.

11. أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب**، 1961، ص 403.

12. التفتازاني، **مدخـــل إلـــى التصـــوف الإسلامـــي**، دار الثقافة، القاهرة، 1974.

13. حامد طاهر، **الفلسفـــة الإسلاميـــة مدخـــل وقضايـــا**، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، 1991.

14. حنا الفاخوري؛ خليل الجر، **تاريـــخ الفلسفـــة العربيـــة**، دار الجيل، بيروت، ط3، 1993.

ب- الرسائـــل الجامعيـــة:

15. صباح بهارسية، **التصوف: حركـــة في الجزائر خلال القـــرن العاشـــر الهجري/ السادس عشـــر ميلادي**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005–2006.

16. عبد الحكيم مرتاض، **الطـــرق الصوفيـــة بالجزائـــر في العهـــد العثماني (924–1246هـــ / 1518–1830م): تأثيراتهـــا الثقافيـــة والسياسيـــة**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2015–2016.

17. عبد المجيد الصغير، **تجليـــات الفكـــر المغربـــي**: دراسات ومراجعات نقدية، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2000.

18. عرفان عبد الحميد فتاح، **نشـــأة الفلسفـــة الصوفيـــة وتطورهـــا**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999.

19. علي زيعور، **النظريـــات في فلسفـــة الوجـــود والعقـــل والخيـــر**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2006.

20. الفرد بل، **الفــرق الإسلاميــة في الشمــال الإفريقــي:** من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

21. محمد الطيب، **إسلام المتصوفــة**، دار الطلائع، بيروت، ط1، 2007.

22. محمد عبد المنعم خفاجي، **الأدب في التراث الصوفي**، دار غريب، القاهرة، 1938.

23. محمد غالب، **التصــوف المقــارن**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

24. مختار الطاهر فيلالي، **نشــأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهــا في الجزائــر خلال العهــد العثمانــي**، دار الغرافيكس، الجزائر، 1976.

ت- المجــلات:

25. أمالي سعدالي؛ وافية نفطي، **دور الطــرق الصوفية في دعم الحكم العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16–18م**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج7، ع1، جامعة المسيلة، 2023.

26. بكاي رشيد، **تأثيــر الطرق الصوفيــة على المجتمع الجزائري خلال العهــد العثمانــي**، مجلة الباحث، ع8، 2011.

27. دلال حوحو، **الصوفيــة والتصوف: بحــث في المصطلــح والمفهــوم**، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مج20، ع1، 2023.

28. رشيدة شدري معمر، **الزوايــا ودورها الدينــي والثقافــي في الجزائــر خلال العهــد العثمانــي**، جامعة البويرة، مج42، ع24، 2020.

29. سفيان بوعنينة، **الزوايــا: النشــأة والتطــور**، مجلة الباحث للدراسات الإنسانية، مج14، ع2، جامعة 20 أوت بسكيكدة، 2020.

30. صحراوي عبد القادر؛ عبد الرحمن الثعالبي: **الإمـــام المتصوف في فكـــر عبد الرزاق قســـوم**، مجلة الحوار المتوسطي، مج9، ع2، سيدي بلعباس، 2018.

31. الطيب لعماري، **الزوايـــا والطـــرق الصوفيـــة في الجزائـــر: التحول من الديني إلى السياســـي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع15، جامعة بسكرة، 2014.

32. محمد الشريف سيدي موسى، **جـــذور التصـــوف ببلاد المغـــرب والجزائـــر**، الندوة الفكرية الخامسة، الوادي، نوفمبر 2000.

ث- المواقـــع الإلكترونية:

33. **أول موسوعـــة إسلاميـــة عن التصوف.. جزائريـــة**، ويكيبيديا متـــاح علـــى الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki/ ، تمت الزيارة يوم : 2025/07/02، Pm15:30.

34. جريدة الخبر، **الزاوية الرحمانية نشاط دائم للذاكرين بعيدا عن الطرقية**، متاح على الرابط التالي:
https://www.elkhabar.com/s@qchldpar107153، تمت الزيارة يوم 2025/09/14، Am11:03.

35. رأفت صلاح الديـــن، **نشـــأة الصوفيـــة**، موقـــع صيد الفوائـــد: متـــاح علـــى الموقع https://saaid.org/feraq/sufyah/106.htm ، تمت الزيارة يوم : 2025/06/30، Am10:30.

36. قناة الطريقة القادرية لعموم افريقيا، الشيخ الحسن حساني شيخ الطريقة القادرية مع المريدين بالزاوية القادرية، متاح على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=djLmqH0P_xI، تمت الزيارة يوم 2025/09/14، Am11:14

ج- المعاجـــم والقـــواميس:

37. شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، **معجـــم الوسيـــط**، مجمع اللغة العربية ودار الشروق، ط4، 2004.

38. مسيد محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، **تـــاج العروس من جواهر القاموس**.

ح- كتـــب باللغة الأجنبيـــة:

39. Gsel S. Marçais. G et G. Yver, **Histoire d'Algérie**, Bovin, Paris, 1927.

40. Louis rinn, marabouts et khoans, **étude sur lislam en algerie,** adolphe Jourdan libraire, éditeur, Alger.1884.

41. Rinn Louis, Marabouts et Khouans, **2tude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan, Alger, 1884.

42. SALHI (M. B), **Confréries religieuses et champs religieux en grande Kabylie au milieu du XXème Siècle**, La Rahmanyya", in Annuaire de l'Afrique du Nord, N°33, 1994 .

فهرس المحتويات

فهـــرس المحتويـــــات

العنـــوان

شكـــــــر وعرفان

إهـــــــــــــداء

قـــائمـــة المختصـــرات

مقدمـــــــة ..... ب

الفصـــل الأول: الاطـــــار المفاهيمـــي والتـــاريخـــي للفكـــر الصـــوفـــــي..... 1

المبحث الأول: مفهوم التصوف 3

المبحث الثاني: نشأة التصوف وتطوره في العالم الإسلامي: 10

المبحث الثالث: ظهور الفكر الصوفي في الجزائـــر قبل الوجـــود العثماني:..... 15

الفصـــل الثاني:الفكرالصوفي في الجزائـــر خلال الحكم العثماني..... 25

المبحـــث الأول:التصوف وانتشاره في الجزائر خلال الحكم العثماني..... 27

المبحـــث الثاني :أهـــم الطـــرق الصوفية وأبـــرز رمـــوزها 30

المبحـــث الثالث :العلاقـــة بين الزوايـــا والسلطـــة العثمانيـــة..... 39

الفصل الثالث: دور الفكر الصوفي في الجزائر وتأثيره على المجتمع..... 44

المبحـــث الأول : نشـــاط الزوايـــا ودورها في المجتمع. 46

المبحث الثاني : مؤسسات التصوف في الجزائر. 53

المبحث الثالث : تأثير الفكر الصوفي على المجتمع الجزائري. 59

خاتمة 61

ملاحق 64

قائمة المصادر والمراجع 68

فهرس المحتويات 74

ملخص: 77

ملخـــص:

تتناول هذه الدراسة موضوع الفكر الصوفي في الجزائر خلال العهد العثماني مركّزة على تطوره التاريخي وأبعاده الدينية والاجتماعية، تم التطرق إلى الإطار المفاهيمي للتصوف، ونشأته في العالم الإسلامي، ثم انتقاله وتبلوره في البيئة الجزائرية. ركزت الدراسة على الطرق الصوفية الكبرى مثل الرحمانية والقادرية والتيجانية، مع إبراز أدوار الزوايا في التربية والتعليم والعمل الخيري. كما ناقشت علاقتها بالسلطة العثمانية، سواء في دعمها أو في الحفاظ على الاستقرار الديني والاجتماعي. وأوضحت الدراسة كيف ساهم التصوف في تشكيل الوعي الجماعي والهوية الدينية للجزائريين. وخلصت إلى أن الزوايا كانت مؤسسة اجتماعية فاعلة في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر. ويُعد التصوف عاملاً من عوامل الصمود الثقافي والديني في وجه التحديات السياسية والاستعمارية اللاحقة.

الكلمـــات المفتاحيـــة:

الفكـــر الصوفـــي، التصوف، الزوايـــا، الطرق الصوفيـــة، الجزائـــر، العهد العثماني.

Abstract:

This study addresses the subject of Sufi thought in Algeria during the Ottoman era, focusing on its historical development and religious and social dimensions. It discusses the conceptual framework of Sufism, its origins in the Islamic world, and its transition and crystallization in the Algerian environment. The study focuses on the major Sufi orders, such as the Rahmaniya, Qadiriya, and Tijaniya, highlighting the roles of the zawiyas in education, teaching, and charitable work. It also discusses their relationship with the Ottoman authorities, both in terms of their support and in maintaining religious and social stability. The study explained how Sufism contributed to shaping the collective consciousness and religious identity of Algerians. It concluded that the zawiyas were an effective social institution at a critical stage in Algeria's history. Sufism is considered a factor in cultural and religious resilience in the face of subsequent political and colonial challenges.

Keywords:

Sufi thought, Sufism, zawiyas, Sufi orders, Algeria, Ottoman era.

تم بحمد الله